بنية السرد في مغازي الواقدي
غزوة بدر أنموذجا

د٠ محمود إبراهيم محمد محمود(*)

توطئة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد.

فإن مغازي رسول الله ﷺ تشكل إحدى أهم المرجعيات الأساسية في تاريخ الإسلام، ولذلك اعتنى بها الصحابة، واحتفوا برواية كل ما يتصل بمغازي رسول الله، واعتنوا بتربية أبنائهم عليها، يروى عن (علي بن الحسين يقول: "كُنَّا نُعَلَّمُ مَغَازِيَ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا نُعَلَّمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ". وقال الزهري "في علم المغازي: علم الآخرة والدنيا")(١). ومن هنا كانت عناية الواقدي بمغازي رسول الله ﷺ وجمع رواياتها وكل ما يتصل بها، وتنسيقها وإخراجها في هذا النص الجامع.

أهمية البحث:

يعد الواقدي إمامًا في فن المغازي، فقد اعتمد على كتابه وروايته في المغازي كل من جاء بعده، ويشكل كتابه نصًّا سرديًّا طويلا يرصد جميع مراحل جهاد النبي ﷺ وغزواته وتحركاته بعد الهجرة، في إطار زماني ومكاني محددين، إذ بدأ فيه من نقطة زمنية محددة هي مقدم النبيﷺ إلى المدينة، وينتهي عند نقطة زمنية محددة هي انتقاله إلى الرفيق الأعلى وذكر سرية أسامة بن

(*) كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

(١) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير – تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي– دار هجر للطباعة والنشر – الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، (٥/ ٢١).

زيد، وما بين نقطة البداية ونقطة النهاية يتشكل امتداد زمني تتحرك فيه عناصر سردية متنوعة تشمل أحداث كل غزوة أو سرية ووقائع نبوية وغيرها. ولعل من أهم السمات التي تجعل الواقدي فى منزلة خاصة بين أصحاب السير والمغازي، أنه تميز بعدة صفات منهجية، أشار إليها بعض السابقين، حيث قال عنه ابن كثير: (الواقدي عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرر غالبا؛ فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار، وهو صدوق في نفسه مكثار)[١]، وقال أيضًا عنه مشيرًا إلى جودة سرده للحدث مقارنا بينه وبين إسحاق: (كذلك رواه محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب... وسياق الواقدي أبسط وأحسن)[٢].

وذكر الخطيب البغدادي بعض ما يميز الواقدي في علمه ومنهجه فقال: (إن للواقدي ست مائة قِمَطْر كتب... وقال ابن سعد: كان الواقدي يقول: ما من أحد إلا وكتبه أكثر من حفظه، وحفظي أكثر من كتبي... سمعت أبا عبد الله الواقدي، يقول: ما أدركت رجلا من أبناء الصحابة، وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته: هل سمعتَ أحدًا من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه، ... وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعاينه، أو نحو هذا الكلام)[٣].

وقد انتبه في العصر الحديث "مارسدن جونس" ناشر المغازي إلى ما يميز الواقدي: هو (تطبيقه المنهج التاريخي العلمي الفني، فإننا نلاحظ عند الواقدي- أكثر مما نلاحظ عند غيره من المؤرخين المتقدمين- أنه كان يرتب التفاصيل

---

(١) البداية والنهاية، (٤/ ٥٨٠)

(٢) السابق، ٤٠٤/٦

(٣) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي- بيروت- الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، (٤/ ٩)

المختلفة للحوادث بطريقة منطقية لا تتغير... مع تأريخ محدد للغزوة بدقة، وغالبا ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة، ...)[١].

ومن ميزات منهج الواقدي في سرد المغازي أنه (يحاول أن يروي خبر الحدث عمن وقع منهم أو فيهم الحدث)[٢]. ونظرا لأهمية هذا المنهج العلمي للواقدي ولاستيعابه أحداث كل غزوة، فإن هذا البحث يهدف إلى الكشف عن أهم معالم بنية السرد عنده من خلال سرده (غزوة بدر الكبرى).

سبب اختيار غزوة بدر:

وقع اختياري لهذه الغزوة؛ لأنها شغلت مساحة كبيرة من كتابه إذ استغرقت حوالي (١٥٣ صفحة) من كتاب المغازي البالغ عدد صفحاته: (١١٢٦ صفحة)، كما أنه اعتنى بها الواقدي عناية كبيرة، ورصد فيها جميع الإعدادات لها من الجانبين؛ جانب النبي ﷺ وجانب المشركين، وتجلت فيها مهارته في سرد الأخبار والربط بينها في بناء نص سردي فني؛ استكمل فيه أدوات الحكي.

فروض البحث وتساؤلاته:

وفي ضوء ما تقدم من تقديم الواقدي في فن المغازي وجعله إمامًا، نطرح بعض التساؤلات حول الواقدي ومغازيه:

هل كان الواقدي واعيًا بفنه السردي وأدواته وبناء نصه؟

هل كان حريصا -حين حذف أسانيد أخباره وجمعها في سياق سردي موحد- على بناء مغازي رسول الله ﷺ بناء يقوم على وفق آليات فنية ومنهج علمي موحد؟

---

(١) مقدمة محقق كتاب المغازي للواقدي، مارسدن جونس، مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٥م، (المقدمة ١/ ٣١).

(٢) الواقدي وكتابه المغازي، الدكتور عبد العزيز سليمان، الجامعة الإسلامية – السعودية، ١٤٢٤هـ، ١/١٧٤.

كيف استطاع الواقدي جمع شتات روايات المغازي في نص فني يخالف منهج التاريخ ورواية الحديث؟

ما هي أدواته في ذلك البناء الذي أُعجب به الأولون حتى سلموا له فيه بإمامته على الرغم من طعن بعض المحدِّثين في روايته للحديث؟

كيف استطاع الواقدي أن يجعل بين أيدينا الإعدادات لغزوة بدر من طرفين مختلفين متباعدين واضحة؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي تظهر براعة الواقدي في السرد.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن معالم البنية السردية التي بني عليها كتاب المغازي، والإجابة عن التساؤلات السابقة، والتنبيه إلى أهمية هذا الكتاب وإمامته في السيرة النبوية، فهو لم يأخذ حقه من البحث والدراسة السردية كما أخذت سيرة ابن هشام.

الدراسات السابقة:

لعل أهم ما كُتب عن الواقدي وكتابه تلك الدراسة الموسعة التي جاءت بعنوان: (الواقدي وكتابه المغازي؛ منهجه ومصادره)، للدكتور عبد العزيز بن سليمان، وهو في أصله بحث تقدم به صاحبه لنيل درجة الدكتوراه، ونشرته وزارة التعليم العالي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في مجلدين عدد صفحاته (٩١٩ صفحة)، وهي دراسة تاريخية قيمة عرفت بتاريخ الواقدي؛ بيئته، وحياته، ومكانته العلمية، وأقوال العلماء والنقاد فيه، ثم تحدث عن منهجه في كتابه، ومصادره وترجيحاته، وإضافاته، إلى آخر المباحث القيمة التي وردت في هذه الدراسة التاريخية والعلمية، ولكن هذه الدراسة لم تتطرق إلى دراسة البنية الفنية والسردية للكتاب؛ لأن ليس هذا من وجهتها ولا تخصصها.

كما أنني وجدت إشارة سريعة ومقتضبة -مع ربطه بابن هشام- لا تنم عن دراسة منهجية، ولا تكشف عن بنية السرد في كتابه، جاءت في ثنايا دراسة للسيرة النبوية عند رفاعة الطهطاوي للدكتور سامي سليمان[١]، فهي دراسة مخصصة لرفاعة الطهطاوي وحده، ولذلك جاءت الإشارة إلى ابن هشام والواقدي من باب التأصيل لرفاعة.

عدا ذلك لم أجد دراسة نهضت بدراسة بنية السرد عند الواقدي.

محاور البحث:

ستكون دراسة هذه البنية السردية من خلال المحاور الآتية:

١- الراوي، والمروي له، والمروي.

٢- البنية الزمانية.

٣- الفضاء الجغرافي؛ المكان.

٤- الشخصيات.

المحور الأول: الراوي، والمروي، والمروي له:

تتشكل البنية السردية للخطاب من تضافر ثلاثة عناصر هي: الراوي، والمروي، والمروي له. فـ (الراوي) هو الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها. و(المروي) هو كل ما يصدر عن الراوي، وينتظم لتشكيل مجموع من الأحداث تقترن بأشخاص، ويؤطرها فضاء من الزمان والمكان[٢]. والمروي له أو عليه: هو الذي يتلقى ما يصدر عن الراوي؛ فكل (سرد سواء كان شفاهيا أو مكتوبًا، وسواء كان يسرد أحداثًا حقيقة أو أسطورية، أو كان يحكي قصة أو

---

(١) انظر: كتابة السيرة النبوية عند رفاعة الطهطاوي، دراسة في التشكيل السردي والدلالة، سامي سليمان أحمد، دار الثقافة العربية، ص: ٢٠٠٢، أهم الصفحات المشار فيها إلى الواقدي هي: ٦٠ -٦٣.

(٢) انظر: شعرية الخطاب السردي، محمد عزام، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م، ص: ٨٣.

تتابعًا بسيطًا للأحداث في الزمن، لا يستلزم راويًا واحدًا على الأقل فحسب بل يستلزم أيضا مرويا عليه، المروي عليه شخص ما يوجه إليه الراوي خطابه)[1]، وهذا الراوي والمروي عليه يتعددان في سرد يعتمد على سلسلة الأسانيد مثل المغازي، فتظهر فيها إشكالية ثنائية الراوي والمروي عليه، حيث أسهمت الفترة الزمانية بين الواقدي والرواة الأول للمغازي، في وجود طبقات متتالية من رواة هذه المغازي، يأخذ اللاحق عن السابق ما يتوفر عنده من أخبار، وهذا التعدد في طبقات رواة المغازي وتسلسلها أوجد تبادلا في المواقع بين الراوي والمروي له؛ حيث يتحول الراوي في موقف سردي ما؛ إلى مروي له في موقف سردي آخر؛ عندما يسلم زمام السرد إلى راوٍ آخر، وتبادل المواقع وتعدد الرواة في الخطاب السردي الروائي أوجد مرويًا لهم داخل البنية السردية، وهذا يتطلب منا أن نتوقف عند هذه العناصر السردية التي تظهر في الخطاطة الآتية:

الراوي (المتحدث) ⟵ المروي (الرسالة) ⟵ المروي عليه (المستمع)

الراوي المؤلف:

هو آخر من يوم بعملية السرد الشفاهي، وهو راوٍ مفارق لمرويه، وهو أيضا الراوي الكاتب حيث يمارس سلطته في كتابة النص الأخير؛ لأنه هو الذي انتهت إليه روايات أحداث المغازي، فأخرجها في المظهر الذي بين أيدينا، فهو القائم بدور الكاتب أو المؤلف وليس راويًا فحسب بل ومروي له، وهذه المرويات المتناثرة للسيرة ترتبط بهذا الراوي الكاتب (وعنه يصدر إلى المروي له، ولذلك فهو أداة لتشكيل نسيج ذلك المروي)[2]؛ من حيث اختيار الأحداث

(١) مقدمة لدراسة المروي عليه مجلة فصول، مجلد ١٢ العدد الثاني، صيف١٩٩٢م، ص: ٧٦ .

(٢) السردية العربية: عبد الله إبراهيم، ص: ١٤٣.

والأفعال والروايات والوقائع ليشكل منها هيكلا سرديًا متصلا يعتمد بنية زمانية مرتبة، (وهو بذلك يحل لفظه محل لفظ الذي سبقه، ويورد متنًا مرنًا رواه غيره، في ظل بنى ثقافية متغيرة، تبعا لتغير مكان الرواية وزمانها)[١]. وهي وظيفة سردية أسماها جيرار جنيت (الوظيفة السردية المحضة التي لا يمكن أي سارد أن يحيد عنها)[٢]، وهي الوظيفة الأساسية له، ومؤداها (نقل الخبر وتوصليه إلى طرف آخر؛ فيتأكد بهذا الصنيع الطابع الأدائي الوظيفي النفعي للظاهرة السردية التي تكرس في كل حالاتها أصلا أو مرجعًا)[٣]، وقد بذل الواقدي جهدًا في جمع شتاتها وتنسيقها من آلاف الروايات والأسانيد حتى ظهرت بهذا المستوى السردي، ويعد عمله في هذا التنسيق والجمع للروايات (هو أساس السرد القصصي، فعلى عاتقه يدور الحوار الداخلي للأبطال، وحوارهم مع بعضهم البعض)[٤]. ويترتب على هذه الوظيفة؛ وظيفة ثانية هي إدارة أدوات "**النص السردي**" (ليبرز تمفصلاته، وصلاته وتعالقاته، وباختصار **تنظيمه الداخلي**؛ ومنظمات الخطاب)[٥]، وقد أسماها جيرار "**وظيفة الإدارة**"، يدير فيها السارد أدوات نصه السردي، وهي أيضًا أطلق عليها بعض الباحثين بـــ(الوظيفة الوصفية)، (التي يقوم فيها (الراوي) بتقديم مشاهد وصفية للأحداث، والطبيعة، والأماكن، والأشخاص، دون أن يعلم عن حضوره، بل إنه يظل

---

(١) السردية العربية، ١٤٣

(٢) انظر:خطاب الحكاية، بحث في المنهج، جيرار جنيت، ترجمة محمد معتصم وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص:٢٦٤.

(٣) السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات، إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـــ- ٢٠٠٨م، ص:٩٧

(٤) القصة القصيرة النظرية والتقنية، إنريكي أندرسون إمبرت، ترجمة علي إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٥٩.

(٥) السابق، ص:٢٦٤.

متخفيا)[١]، حيث يسوق الواقدي الأحداث على لسان الرواة السابقين بضمير الغائب. وهذا العمل تَطَلّبَ منه القيام بعملية "الانتقاء والإغفال"[٢] كما يسميها "إمبرت"، فالانتقاء هو مبدأ الفن، (والراوي عندما يقوم بعملية الانتقاء فهو يباعد ما لا يهمه)[٣]، وهذا الانتقاء لبعض الأشياء والإغفال لبعضها، هو الذي يميز بين الرواة الساردين لغزوة ما؛ لأن هذا الراوي مثلا يبدي اهتمامًا ببعض الأشياء أكثر من الأخرى، (ويمكن أن يكون اثنان من الرواة يتخذان الموقع نفسه، والمنظور نفسه والنمطية غير أنهما يختلفان في درجة الاهتمام بالأحداث التي يرويها كل واحد منهما)[٤]، وهذا نراه واضحًا في الفرق بين سرد الواقدي لغزوة بدر، وسرد ابن إسحاق مثلا، حيث كان الواقدي يهتم ببعض الأحداث وتحديد الأماكن بدقة، فيتوقف ليصف مكانًا أو يحدد طريقًا، بكيفية قد لا نجدها عند ابن إسحاق[٥]، وهي التي أشار إلى شيء منها ابن كثير كما نقلتُ عنه منذ قليل.

ومارس الواقدي في سرد مغازيه؛ **(الوظيفة التوثيقية)**[٦]، نظرًا لاعتماده على سلسلة الأسانيد حيث قام بتوثيق رواياته، من حيث نسبة كل رواية إلى صاحبها، وسرد أسانيده التي تلقى عن طريقها مادته السردية، وذلك عبر طريقين كشف لنا عنهما هما:

أ- الإسناد الجمعي أي يجمع الرجال والأسانيد في متن واحد.

---

(١) انظر: شعرية الخطاب السردي، ص: ٨٦.

(٢) انظر: القصة القصيرة النظرية والتقنية، ص:١١١.

(٣) السابق والصفحة نفسها.

(٤) السابق، ص: ١١٢.

(٥) راجع المقارنة بين الواقدي وابن إسحاق: الواقدي وكتابه المغازي، ص: ٢٠٩ وما بعدها، وفصل أبرز الإضافات العلمية عند الواقدي، ص: ٥٧٠ وما بعدها.

(٦) السابق، ص: ٨٦.

ب- والإسناد الفردي.

وشكل الإسناد الجمعي الإطار السردي؛ الذي بنى الواقدي عليه المغازي. ولذلك بدأ الواقدي كتابه ببيان رجال هذا الإسناد في بداية حيث أثبت أسماء خمسة وعشرين راويًا في مقدمة كتابه، ثم عقب عليها بقوله: (فكلٌّ قد حدثني من هذا بطائفة، وبعضهم أوعى لحديثه من بعض،... وغيرهم قد حدثني أيضًا، فكتبتُ كلَّ الذي حدثوني)[١]، وعبارة "كل قد حدثني" (تحيل على شكل سردي مفتوح، غير جاهز ولا محدود، فهو مهيأ لتقبل شيء من الزيادة والنقصان، وتقبل شيء من الإضافة والتحوير في الشريط السردي)[٢]، من خلال الروايات المتعددة والمتكررة.

وقد تكرر هذا الإسناد الجمعي في الكتاب في "خمسة وثلاثين" موضعا، قد أشار إلى مواضعها أحد الدارسين للواقدي[٣]، وأرجع إليها في ثنايا السرد بقوله: **(وقالوا)**. وأحيانا يروي الحدث عن واحد أو اثنين معًا من الرواة، لبيان تفرد بعضهم بزيادة معلومة على السرد العام، وفي كلتا الحالتين فإن السند كان يؤدي وظيفتين، إحداهما؛ أنه (يقوم بدور الشاهد على أن الخبر مروي غير مخترع)، والأخرى؛ هي (توثيق المتن)[٤].

ورواة الإسناد الجمعي والفردي كلهم رواة متوسطون بين (المصدر والمتلقي الأخير الذي يدون الخبر أو يقرأه مدونًا، هم مروي لهم ورواة في

---

(١) انظر: مغازي الواقدي (١/ ١٠).

(٢) في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م، ص: ١٤٩.

(٣) انظر: الواقدي وكتابه المغازي:١/ ١٩٣ وما بعدها.

(٤) الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، محمد القاضي، دار الغرب الإسلامي، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٨م،ص:٣٢٧.

الوقت نفسه)[1]. فهؤلاء الرواة المتوسطون رووا أخبارًا مفردة تناقلوها جيلا عن جيل حتى نقلوا عن الجيل الذي شهد الأحداث.

المروي له:

سبق أن ذكرت أن المروي له في مثل هذه النصوص يتعدد، فهو (الذي يتلقى ما يرسله الراوي سواء اسمًا متعينًا ضمن البنية السردية أم كائنًا مجهولا)[2]. ويرى (جيرالد برنس) أن أهم أدوار المروي عليه (هو التوسط بين الراوي والقراء)[3]. وتتعدد سمة الراوي والمروي له من جيل التابعين، وهو الراوي من الطبقة الثانية، ثم نقل هذا التابعي هذا الحدث فصار راويًا لمروي له وهو تابع التابعين، وهو الطبقة الثالثة فصار هو بدوره راوٍ بعد أن كان مرويًا له، وهنا يجيء موقع الرواي المؤلف (الواقدي)، فهو مروي له وراو في الوقت نفسه، وقد (سمع من صغار التابعين فمن بعدهم)[4]، وعليه وقع عبء السرد وإنتاجه وعنه صدر إلى المروي له، بعد أن أعاد تشكيل ذلك النسيج المروي، بأن أحل لفظه محل لفظ الذين سبقوه، وأورد متنًا سرديًا جديدًا.

علاقة الراوي بمرويه:

تتعدد المصطلحات في توصيف صلة الراوي بمرويه، لكن اعتمد التسمية الآتية لقربها من طبيعة رواية النص التراثي:

---

(١) السرد العربي القديم، إبراهيم صحراوي، ص:٩٧ .

(٢) انظر: السردية العربية، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، ط١/ ١٩٩٢، ص: ١١-١٢.

(٣) مقدمة لدراسة المروي عليه، ص:٨٦.

(٤) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص: ٩/٤٥٤.

أ- الراوي المفارق لمرويه.

ب- الرواي المتماهي بمرويه.

أ- الراوي المفارق لمرويه.

وهو الرواي من الخارج، أو الراوي غير المشارك، وهو السارد الكاتب الذي يقوم بتسجيل ما انتهى إليه من روايات الأحداث والتنسيق بينها كما أشرت من قبل، هذا الراوي ووالرواة الذين بينه وبين الراوي المشارك في الأحداث كلهم رواة مفارقون لمروياتهم، وينتمون إلى عالم آخر غير العالم الذي تتحرك فيه شخصيات الحدث، فقد اختفت أصوات هؤلاء الرواة؛ لتظهر من خلال صوت الراوي الأخير الواقدي، الذي يتحرك في زمان ومكان أكثر اتساعًا من زمان الرواة الأوائل ومكانهم، فبينما تقوم الشخصيات المشاركة للأحداث بصناعة الأفعال والأقوال والأفكار التي ترصد عالم الحدث، وتدفعه نحو الصراع والتطور، نجد (دور هذا الراوي يتجاوز إلى عرض هذا العالم كله من زاوية معينة ثم وضعه في إطار)[1] سردي خاص يجمع شتات هذه الأحداث مستخدمًا ضمير الغائب الذي مكَّن له الاختفاء وراء النص؛ ليقوم بمهمة السرد من دون المشاركة في الحدث.

ب- الرواي المتماهي بمرويه:

ويسمى الراوي المشارك أيضًا ويظهر هذا الراوي في النص المروي السردي، حيث (يجعل الكاتب إحدى الشخصيات التي شهدت الأحداث ترويها بعد فترة من الزمان، أو بعد ابتعادها عن المكان الذي وقعت فيه)[2]، وقد تكررت هذه التقنية الروائية في سرد غزوة بدر غير مرة على لسان إحدى

---

(١) الراوي والنص القصصي، د عبد الرحيم الكردي، مكتبة الآداب، ط: ١/ ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ص: ١٧.

(٢) الراوي والنص القصصي، ص: ١٢٣.

شخصيات الأحداث، كالذي كان من: حكيم بن حزام، حيث قام برواية بعض الوقائع حيث سردها بضمير المتكلم أهمها:

١.وصفه لما جاء به ضمضم بن عمرو يستنفر أهل مكة لحماية أموالهم. (٣١/١).

٢.تحدث عن موقفه من الخروج مع قريش، وموقف عدّاس من الخروج.(٣٤/١-٣٥).

٣.تولى سرد واقعة أخذ المسلمين سُقّاء قريش من ماء بدر ووصف الفوضى والقلق التي نزل بقريش نتيجة هذا العمل: (٥١/١-٥٢).

٤.تحدث عن محاولته لإثناء قريش عن مواجهة المسلمين، فمشى بين عتبة، وأبي جهل، ومنبه بن الحجاج: (٦٥/١-٦٧).

٥.جاء على لسانه وصف نزول الملائكة فقال: (لَقَدْ رَأَيْتنَا يَوْمَ بَدْرٍ وقد وقع بوادي خلْص، بِجادٌ من السماء قَدْ سَدّ الْأُفُقَ فإذا الوَادِي يَسِيلُ نَمْلًا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنّ هذا شَيْءٌ مِن السّمَاءِ أُيّدَ بِهِ مُحَمّدٌ، فَمَا كانت إلّا الهَزِيمَةُ، وهيَ المَلَائِكَةُ)[1].

٦.وأخيرا ما كان من استرجاعه لواقعة حدثت لقريش بمرّ الظَّهْران: (٩٥/١).

في كل هذه الوقائع كان السارد من الشخصيات المشاركة للحدث، أو الراوي المتماهي في مرويِّه، واستخدم في سرده للأحداث ضمير المتكلم، و(موقعه في هذه الحالة يمتزج بمواقعها، ويصبح الزمان الذي يتحدث فيه هو عينه زمانها الذي تتحرك خلاله وفي الوقت الذي يتولى فيه فعل القص؛ فإنه يشارك الشخصيات في صناعة الأحداث، ويتزاحم معها في صراعها مع الزمان، أو يشهد هذا الصراع ويراه بعينه)[2]، وقد تكررت هذه التقنية السردية على لسان عدة شخصيات آخرين، منهم:

(١) المغازي، ٨٠/١.
(٢) السابق، ص: ١٢٠.

– وكذلك ما كان من عاتكة عندما تولت سرد رؤيتها على العباس بن عبد المطلب، ثم تولى العباس سرد رؤيا عاتكة بضمير المتكلم على صديقه الوليد ابن عتبة بن ربيعة، ثم سرد ما ترتب عليها من حوارات ومناوشات مع أبي جهل ونساء بني المطلب. (١/٢٩-٣٠).

– وما كان من على بن أبي طالب عندما تولى سرد شيء من أحداث بدر. (١/٥٧).

– ومن ذلك سرد قباث بن أشيم الكناني ما كان من نجاته يوم بدر على بعير حتى رجع مكة، ثم إشارته لإسلامه بعد غزوة الخندق. (١/ ٩٧).

التواتر في المـــــروي:

المقصود بالتواتر هنا في نسيج البنية السردية (هو تكرار رواية الحكاية داخل بنية القصة عبر شخصيات مختلفة)[١]، وهذا المفهوم (أُدخل لأول مرة من طرف جينيت:(١٩٧٢)، ويخصّ العلاقة بين عدد مناسبات الحدث في الحكاية، وعدد المرات التي يشار إليه في المحكي)[٢]، حيث يرى (جيرار) أن الفعل الحكائي يخضع لنسق واحد من (التواتر) حصرها في ضروب أربعة، وهي:

١ــ أن يروي مرة ما وقع مرة واحدة.

٢ــ أن يروي مرات لا متناهية ما وقع مرات لا متناهية.

٣ــ أن يروي مرات لا متناهية ما وقع مرة واحدة.

٤ــ أن يروي ما وقع مرة واحدة ما وقع مرات لا متناهية[٣].

لا شك أن أحداث هذه المغازي قد حدثت مرة واحدة، لكن رويت مرات لا متناهية، ينسحب عليها النمط التكراري الثالث الذي يعنى برواية الحدث الواحد

---

(١) بنية السرد في القصص الصوفي، ناهضة ستار، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م. ص: ١٣١.

(٢) نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، ص: ١٢٨ .

(٣) خطاب الحكاية، ص: ١٢٩-١٣٠.

أكثر من مرة، فمع كل رواية للفعل الحكائي تحدث عملية إنتاج جديد للفعل لا على الواقع، إنما على لسان الراوي وألفاظه، حتى انتهت إلى التقييد بالكتابة، فالرواية هي التي تتكرر وليس الحدث ذاته، وفي كل رواية للحدث ذاته تتجدد طريقة قوله على لسان الراوي هذا على المستوى الكلي لإطار المغازي، وقد أطلق جيرار جينيت على هذا الأمر: "الحكاية التكرارية"(١).

كما أننا نجد بعض الأحداث الداخلية تتكرر روايتها أو الإشارة إليها غير مرة، مما يكشف عن أهمية مميزة لذلك، ودوره في تحريك الحدث وتنميته، وإثارة المتلقي، مثال ذلك رواية خبر نزول الملائكة وقتالها المشركين من عدة رواة: من طريق أبي رهم الغفاري عن ابن عم له، وطريق أبي أسيد الساعدي، وطريق سهيل بن عمرو يحدث عن رجل من بني غفار حدثه، ثلاثتهم يروون حدثًا واحدًا هو نزول الملائكة تقاتل مع النبي ﷺ وتصف ما حدث من تأثير في مجريات الأحداث، وبعض من شاهد ذلك من المشركين مات خوفًا كما ورد في آخر الخبر: (فمات ابن عمي، وأما أنا فتماسكتُ وأخبرتُ النبى ﷺ)(٢)، وأسلم وحسن إسلامه، فهذا الحدث حدث مرة واحدة، ولكن تكررت روايته غير مرة.

كذلك تكرر ذكر رؤيا عاتكة في السرد غير مرة، فقد أورده أول مرة صفحة (٢٩/١)، ثم أشار إليها ولم يذكرها في ٤١/١، ٤٢، ٤٣، ١٢٢.

المحور الثاني: البنية الزمنية في المغازي:

وقعت غزوة بدر في (١٧ رمضان ٢هـ الموافق ١٥ مارس ٦٢٤م)، لكن النبيﷺ تحرك قبل هذا الموعد بعشرة أيام تقريبًا. وكما يقول ريكور: (يصير الزمن إنسانيًّا بقدر التعبير عنه من خلال طريقة سردية، ويتوفر السرد على

(١) خطاب الحكاية، ص: ١٣١.

(٢) انظر هذه الأخبار المتعددة: المغازي، ١/ ٧٦-٧٧.

معناه الكامل حين يصير شرطًا للوجود الزمني)[١]، وقبل أن أبين عناصر البنية الزمنية في سردية غزوة بدر، علينا أن نبين الإطار الزمني والمكاني الذي بنيت عليه أحداث غزوة بدر، إذ (يمثل المكان والزمان –على مستوى الملاحظة المباشرة في حياتنا اليومية– الإحداثيات الأساسية التي تحدد الأشياء الفيزيقية، فنستطيع أن نميز بين الأشياء من خلال وضعها في المكان، كما نستطيع أن نحدد الحوادث من خلال تاريخ وقوعها في الزمان)[٢]، ومن ثَمّ اعتنى الواقدي بتحديد التاريخ، وبوصف الأماكن التي سلكها النبيﷺ وهو في طريقه إلى بدر، مع ذكر اليوم الذي نزل فيه والوقت التي نزل فيه هذا المكان أو ذاك من ليل أو نهار أحيانًا، وقام البناء السردي لأحداث غزوة بدر الرئيسة على الحكاية الإطارية، ثم تخلل سرد الأحداث الرئيسة أخبار سردية تفصيلية لبعض الأحداث، تتداخل فيما بينها، ويسمى هيكل السرد للأحداث الرئيسة –حسب اصطلاح جيرالد برنس– **السرد الإطار**؛ وهو (سرد يطمر فيه سرد آخر، سرد يؤدي وظيفة إطار لسرد آخر، وذلك بقيامه بوظيفة القاعدة أو الخلفية التي ينطلق منها)[٣]، ويمكننا أن نجمل السرد الإطار؛ الزماني منه والمكاني، وذلك من خلال مرحلتين على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: تتمثل في تحرُّك النبيﷺ من المدينة إلى مكان الحدث وهو ماء "بدر".

---

(١) الزمان والسرد، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، وفلاح رحيم، دار الكتاب الجديد – طرابلس، ط١/ ٢٠٠٦، ص:١/ ٩٥ .

(٢) القارئ والنص؛ العلامة والدلالة، سيزا قاسم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠١٤م، ص٣٧.

(٣) المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بربري، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ٢٠٠٣م، ص: ٩١.

المرحلة الثانية: تتمثل في الرجوع من بدر بعد انتهاء القتال[1]:

المرحلة الأولى: [من المدينة إلى بدر]قال الواقدي:

١. ولما تحين رسول الله ﷺ انصراف العير من الشام، ندب أصحابه للعير، وبعث رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد، قبل خروجه من المدينة بعشر ليال، يتحسسان خبر العير،...

٢. خرج رسول الله ﷺ بمن معه حتى انتهى إلى نقب بني دينار، ثم نزل بالبقع وهي بيوت السقيا يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان. فعسكر هناك، وعرض المقاتلة،... واستقى من بئرهم يومئذ.

٣. صلى رسول الله ﷺ عند بيوت السقيا ، ودعا يومئذ لأهل المدينة ... وقدِم عليه عدي بن أبي الزغباء وبسبس بن عمرو من بيوت السقيا. وعبد الله ابن عمرو بن حرام يومئذ.

٤. راح رسول الله ﷺ عشية الأحد من بيوت السقيا، لاثنتى عشرة مضت من رمضان... ودعا رسول الله ﷺ لأصحابه، واستعمل رسول الله ﷺ على المشاة قيس بن أبي صعصعة، وأمره النبي ﷺ أن يعدَّ المسلمين.

٥. وخرج رسول الله ﷺ من بيوت السقيا حتى سلك بطن العقيق، ثم سلك طريق المكتمن، حتى خرج على بطحاء ابن أزهر، فنزل تحت شجرة هناك، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى حجار، فبنى تحتها مسجدا، فصلى فيه رسول الله ﷺ. وأصبح يوم الاثنين فهو هناك، وأصبح ببطن ملل، وتربان بين الحفيرة وملل.

٦. ومضى رسول الله ﷺ، وكان صبيحة أربع عشرة من شهر رمضان بعرق الظبية...

٧. ثم سار رسول الله ﷺ حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من شهر رمضان، فصلى عند بئر الروحاء. ...

---

(١) انظر: مغازي الواقدي الصفحات: (١/ ١٩- ١١٨)

٨. ومضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان **دوين بدر** أتاه الخبر بمسير قريش، فأخبرهم رسول الله ﷺ بمسيرهم...

٩. وخرج رسول الله ﷺ من الروحاء، فسلك المضيق، ثم جاء إلى الخبيرتين فصلى بينهما، ثم تيامن فتشاءم في الوادي حتى مرَّ على خيف المعترضة، فسلك في ثنية المعترضة حتى سلك على **التيا**، وبها لقي سفيان الضمري،... وكان قد صلى "بالدبة" ، و"بسير"، وبذات أجدال"، و"بخيف عين العلاء"، وبالخبيرتين.

١٠. ثم انصرف من عند الخبيرتين فمضى حتى قطع "الخيوف"، وجعلها يسارا حتى سلك في المعترضة، ولقيه بسبس وعدي بن أبي الزغباء فأخبراه الخبر.

١١. ونزل رسول الله ﷺ "**وادي بدر**" عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، فبعث عليا والزبير وسعد بن أبي وقاص وبسبس بن عمرو يتحسسون على الماء، ... ثم شاور أصحابه في النزول في المكان المناسب، فأشار عليه الحباب بالنزول بجوار الماء ...

١٢. فلما تحوّل رسول الله ﷺ إلى المنزل، ... بُني له عريش من جريد، فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشح السيف، فدخل النبي ﷺ هو وأبو بكر. ووقف رسول الله ﷺ ينظر إلى الصفوف، ... فنزل رسول الله ﷺ بالعدوة الشامية ونزل المشركون بالعدوة اليمانية ...

١٣. ثم كان القتال صبيحة سبع عشرة من رمضان يوم الجمعة، على رأس تسعة عشر شهرًا.

المرحلة الثانية بعد انتهاء الحرب؛ [من بدر إلى المدينة]

١٤. كان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس، فأقام رسول الله ﷺ ببدر وأمر عبد الله بن كعب بقبض الغنائم وحملها،...

١٥. فصلى العصر ببدر ثم راح فمرَّ بالأثيل قبل غروب الشمس فنزل به، وبات به وبأصحابه جراح، ...

١٦. وأقبل رسول الله ﷺ بالأسرى، حتى إذا كان بعرق الظبية أمر عاصم ابن ثابت بن أبي الأقلح أن يضرب عنق عقبة بن أبي معيط،...

١٧. ولما نزلوا "سيَر" قسم رسول الله ﷺ الغنائم بها بين أصحابه. ... ولقيه الناس يهنئونه بالروحاء بفتح الله ... وقدم رسول الله ﷺ المدينة بالأسرى...

هذا هو مجمل الإطار العام الزماني والمكاني لغزوة بدر، سقته مختصرًا، وفي ثنايا هذا الإطار الرئيس أحداث كثيرة جاءت مع كل مرحلة من مراحل انتقال النبي ﷺ من مكان لآخر، وفي الوقت نفسه رصد الواقدي تحركات المشركين المتزامنة مع تحركات المسلمين.

يشكل الزمان والمكان معًا الإطار السردي السابق، (حيث إن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث، أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها، وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث؛ فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه، فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث)[١]، فلا يُتصوّر سرْدُ حدَثٍ بدون زمان أو مكان، فهما (متلازمان لا يفترقان، ومتقارفان لا يفترقان... فلا حيّز بلا زمان، ولا زمان بلا حيّز)[٢]، ولا نميّز بينهما في البحث إلا من قبيل التيسير الإجرائي التحليلي. ويرى النقاد الروائيون المعاصرون أنه توجد (ثلاثة أضرب من الزمن تتلبس بالحدث السردي، وتلازمه ملازمة مطلقة:

١- زمن الحكاية؛...

٢- زمن الكتابة، ويتصل به زمن السرد مثل سرد حكاية شعبية ما، فإن هذا المسعى يشابه فعل الكتابة، وإفراغ النص السردي على الورق، إذ إفراغ

(١) بناء الرواية، ص: ١٠٦.

(٢) في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص: ١٤٩.

هذا النص على القرطاس لا يختلف عن إفراغ الخطاب الحكائي، الشفوي على الآذان المتلقية، ويرى "تودوروف" بأن هذا الزمن مرتبط بضرورة التلفظ القائم داخل النص.

٣- زمن القراءة، وهو الزمن الذي يصاحب القارئ وهو يقرأ العمل السردي)[١]، والذي يهمنا هنا زمانين؛ الأول: زمن الحكاية؛ وهو (الزمن الخاص بالأحداث والوقائع المروية)[٢]. والثاني؛ زمن الكتابة، (ويتعلق الأمر هنا بالمدة الزمنية التي يتطلبها فعل سرد الأحداث وهو غير زمن الكاتب، ... على أن مسألة إدراكه قد تزداد صعوبة حين لا توجد إشارة دالة على تاريخ الشروع أو الانتهاء من كتابة العمل المدروس)[٣]، فعندما نقرأ غزوة بدر عند الواقدي، نجد أن زمن الحكاية في المغازي تاريخي واقعي يسير فيه الزمن على وفق الترتيب الميقاتي للأحداث، وفيه رصد الواقدي تحركات النبي ﷺ من المدينة إلى بدر رصدًا دقيقًا بالزمان والمكان، كما أثبته منذ قليل، ورتب التحركات الرئيسة ترتيبًا زمنيًا ومكانيًا، أما العلاقة بين بين النظام الزمني التتابعي للوقائع في زمن المتن الحكائي، وزمن المبنى الحكائي فتختلف، ولذا نجد الواقدي يقدّم بعض الأشياء ويؤخّر بعضها؛ لأنه بوصفه راويًا مفارقًا لمرويه قد بدأ عملية السرد بعد انتهاء الحكاية بزمن طويل، فهو على علم بمتنه الحكائي كله؛ مما منحه حرية في ترتيب أحداث السرد على نحو خاص به؛ لأن (زمن السرد أو زمن القصة، لا يفترض احترامه لتسلسل الزمن الميقاتي الذي جرت فيه أحداث الحكاية، بمعنى أنه يتجاوز الزمن التاريخي بأساليب متعددة؛ كاستباق الأحداث المستقبلية، أو استرجاع ما مضى عند طريق الوعي أو

(١) في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص: ٢٠٩.

(٢) إشكالية الزمن في النص السردي، عبد العالي بو طيب، مجلة فصول، القاهرة، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، صيف ١٩٩٢م، ص: ١٣٠.

(٣) السابق، ص: ١٣٠

الرؤيا... الخ)[١]، فهذه إستراتيجيات سردية لإدارة الأحداث الحكائية؛ وفيها تظهر وظيفة السارد ومهارته في إدارته لمفردات الحكاية حتى تؤدي هدفها التأثيري التواصلي والجمالي، وقد وجدنا بعض هذه التقنيات الزمنية التي استُخدمت لمعالجة الزمن السردي، وأهم هذه الأدوات: الاسترجاع – الاستباق– التزامن– الوقفة الوصفية– المشهد – الحذف، بالإضافة إلى ورود بعض الألفاظ الدالة على ترتيب الزمن الطبيعي.

الاسترجاع:

تقنية سردية مهمة في بناء الحكاية، وهي تعني (مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة؛ استعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة أو اللحظة التي تنقطع عندها سلسلة الأحداث المتتابعة زمنيًا؛ لكي تخلي مكانًا للاسترجاع)[٢]، وفيها يتوقف الواقدي "السارد" عن سرد الحكاية الإطار – التي أثبت عناصرها الرئيسة منذ قليل– أو "الحكاية الأولى" على حد تسمية جيرار جينيت[٣]، ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها في لحظة متأخرة عن حدوثها، (إذ يشكل كل استرجاع، بالقياس إلى الحكاية الأولى التي يندرج فيها حكاية ثانية، تتبع الأولى زمنيًا)[٤]، وهذه الاسترجاعات تنقسم (لثلاثة أصناف تبعًا لدرجة ماضوية الحدث المتناول فيه، وكذلك علاقته بالمحكي الأول)[٥]، وهي:

أ– الاسترجاع الداخلي.

ب– الاسترجاع الخارجي.

---

(١) انظر بنية السرد في القصص الصوفي: ٢٠١.

(٢) المصطلح السردي، جيرالد برنس، ص:٢٥.

(٣) انظر: خطاب الحكاية، ص: ٦٠.

(٤) السابق، ص: ٦٠.

(٥) إشكالية الزمن في النص السردي، ص: ١٣٤.

ت- الاسترجاع المزجي أو المختلط.

والاسترجاع بصنوفه الثلاثة يمثل جزءًا مهمًا من بناء النص السردي[١]، ويمكن أن نوضح كل صنف مع بيان شواهده عند الواقدي على النحو الآتي:

أ- استرجاع داخلي:

وهو استرجاع (يتوقف فيها تنامي السرد صعودًا من الحاضر نحو المستقبل، ليعود إلى الوراء/ الماضي... شريطة ألا يتجاوز مداها حدود المحكي الأول)[٢]، وقد اعتمد الواقدي تقنية الاسترجاع كثيرًا في سرده، وذلك (لربط حادثة بسلسلة من الأحداث السابقة المماثلة لها)[٣]؛ من شواهده ما جاء على لسان "عتبة وشيبة" وهما يتحاوران في طريقهما مع قريش إلى بدر، فتذكرا رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب، يقول الواقدي: (إذ تخلف "عتبة وشيبة"، وهما يتحدثان، قال أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب؟ لقد خشيتُ منها. قال الآخر: فاذكرها! فذكرها، فأدركهما أبو جهل فقال: ما تحدثان به؟ قالا: نذكر رؤيا عاتكة)[٤]. نعد هذا **استرجاعًا** لأن خبر رؤيا عاتكة ورد قبل ذلك في صفحة (٢٩) قبل أن تخرج قريش من مكة، تزامنًا مع خبر رجوع أبي سفيان بالعير من الشام، وإرساله ضمضم لينذر قريشًا. وهو **داخلي** لأنه يتناول حادثة تقع ضمن الإطار الزمني لأحداث الغزوة، فهذا الاسترجاع كشف عن الصراع النفسي الذي كان يعتمل في صدري عتبة وشيبة ومدى القلق الذي كان يسيطر عليهما، ومدى التردد في الخروج مع قريش.

مثال آخر على هذا **الاسترجاع** هو ما كان من "حكيم بن حزام" عند نجاته من المسلمين، وفي طريق عودته إلى مكة مع عبيد الله وعبد الرحمن ابني

---

(١) انظر: بناء الرواية، ص: ٥٨.

(٢) إشكالية الزمن في النص السردي، ص: ١٣٤ .

(٣) السابق، ص: ١٣٤ .

(٤) المغازي، ٤١/١.

العوام على جمل لهما، فلما دنا من مكة، وهو بـــ"مر الظهران" في هذا المكان تذكر ما حدث لقريش وهم في طريقهم إلى ماء بدر، فقال: (والله، لقد رأيتُ ها هنا أمرا ما كان يخرج على مثله أحد له رأي، ولكنه شؤم ابن الحنظلية! إن جزورًا نُحرت ها هنا فلم يبق خباء إلا أصابه من دمها...)[١]. وهي واقعة حدثت مع جيش قريش قبل مواجهتهم المسلمين.

ب- استرجاع خارجي:

وهو العودة إلى ماضٍ لاحق لبداية أحداث الحكاية السردية قد تأخر تقديمه، أو بعبارة أخرى هو (يطلق على الاستحضارات التي تبقى في جميع الأحوال، وكيفما كان مداها خارج النطاق الزمني للمحكي الأول)[٢]، وهو يقوم بأكثر من وظيفة؛ من أهمها ملء فراغات زمنية تساعد على فهم مسار الأحداث[٣]، من ذلك خبر أهل يثرب مع اليهود قبل الإسلام، عندما نزل النبيﷺ "حُسَيْكَة الذّبَابِ" وهو في طريقه إلى بدر، قال الواقدي: (وجاء عبد الله بن عمرو بن حرام إلى رسول الله ﷺ يومئذ، فقال: يا رسول الله: إن هذا منزلنا- بني سلمة- حيث كان بيننا وبين أهل حسيكة ما كان... فعرضنا ها هنا أصحابنا، فأجزنا من كان يطيق السلاح ورددنا من صغر عن حمل السلاح، ثم سرنا إلى يهود حسيكة، وهم أعز يهود كانوا يومئذ، فقتلناهم كيف شئنا، فذلت لنا سائر يهود إلى اليوم) [٤].

أورد الواقدي هذا الاسترجاع لاستحضار ما مرَّ من أحداث بهذا المكان، وقد أوردها (لإعطائها تفسيرًا جديدًا على ضوء المواقف المتغيرة؛ لأنه كلما

---

(١) المغازي (١/ ٩٦) .

(٢) إشكالية الزمن في النص السردي، ص: ١٣٥.

(٣) انظر: بناء الرواية، ص: ٥٨.

(٤) المغازي، ١/٤٠.

ابتعدت الأحداث اختلف معناها، ومن ثم تصبح المطابقة والمقارنة بين الاسترجاع الخارجي والحاضر الروائي إشارة وعلامة على مسار الزمن وفاعليته)[١]، ولعل أبرز تفسير لاستحضار الواقدي انتصار الأوس والخزرج على اليهود في هذا المكان وذلك التوقيت، هو إبراز البشرى والتيمن بهذا النزول في هذا المكان، كما قدم لنا شخصية جديدة –عبد الله بن عمرو– على مسرح الحدث ليعرفنا بماضيها وطبيعة علاقتها بباقي الشخصيات الأخرى.

ومن تلك الاسترجاعات ذكر النبي ﷺ لمرور سيدنا موسى ﷺ بفج الروحاء: (قال رسول الله ﷺ: لقد سلك **فَجّ الرّوْحَاءِ** موسى النبي عليه السلام في سبعين ألفًا من بني إسرائيل، وصلوا في المسجد الذي بِعِرْقِ الظّبْيَةِ)[٢]، وهنا استحضار مهم لشخصية سيدنا موسى عليه السلام، ومروره بهذا المكان ومعه عدد هائل من بني إسرائيل، وفي هذا إشارة إلى بركة هذا المكان الذي تعاقب عليه الأنبياء وأتباع الأنبياء.

ومنه أيضًا استحضار لواقعة حدثت قبل الإسلام وهي دَفْعُ النبيﷺ لأبي جهل في الجاهلية حتى أثّر على ركبته، استحضر النبي هذه الواقعة بمناسبة ما ذكره عبد الله بن مسعود من آثار ضرب وجدها في جسم أبي جهل (... قال رسول الله ﷺ: قد أصابه جحش من دفع دفعته في مأدبة ابن جدعان، فجحشت ركبته. فالتمسوه" فوجدوا ذلك الأثر)[٣]. فهذا الاستحضار أسهم في الربط بين حادثة قديمة حدثت لأبي جهل تتشابه مع حادثة حاضرة وهو آثار ضرب في جسد أبي جهل، كما أسهمت في ذات الوقت في زيادة التصديق بالنبي ﷺ، وكشف تاريخ حادثة قديمة أعيد تفسيرها بهذه الواقعة والتعريف بها.

---

(١) إشكالية الزمن في النص السردي، ص: ١٣٥.

(٢) المغازي، ٤١/١.

(٣) المغازي، ٩٠/١.

ومن الاسترجاعات النبوية التي كشفت عن شخصية لها دور قديم، ما كان من ذكر موقف البختري مع النبيﷺ في مكة قبل الهجرة: (نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختري، وكان قد لبس السلاح يومًا بمكة في بعض ما كان بلغ من النبي ﷺ من الأذى، فقال: لا يعترض اليوم أحد لمحمد بأذى إلا وضعت فيه السلاح. فشكر ذلك له النبي ﷺ)[١]. هذا الاستحضار لهذه الواقعة يكشف عن وفاء النبيﷺ لمن أسدى إليه معروفًا.

ومن الاسترجاعات المهمة استرجاع الواقدي لأسباب الخلاف بين قريش وكنانة في الجاهلية وأنهم قتلوا منهم في الجاهلية[٢].

ج-استرجاع مزجي:

وهو الذي يجمع بين الاسترجاع الخارجي والداخلي (فهو خارجي باعتباره ينطلق من نقطة زمنية تقع خارج نطاق المحكي الأول، وهو داخلي أيضا بحكم امتداده في النهاية مع بداية المحكي الأول)[٣]، من هذا النوع ما أورده الواقدي وقت خروج أهل مكة إلى محاربة النبيﷺ، وهو أن "سعد بن معاذ" ذهب قبل بدر إلى مكة ليعتمر قبل أحداث المناوشات التي كانت بين عير أبي سفيان والمسلمين: (فنزل على أمية بن خلف، فأتاه أبو جهل فقال: أتُنزل هذا، وقد آوى محمدا وآذنا بالحرب؟ فقال سعد بن معاذ: قل ما شئت، أما إن طريق عيركم علينا. قال أمية بن خلف: مه، لا تقل هذا لأبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي! قال سعد بن معاذ: وأنت تقول ذلك يا أمية، أما والله لسمعت محمدًا يقول «لأقتلنَّ أمية بن خلف» . قال أمية: أنت سمعتَه؟ قال، قلت: نعم. قال: فوقع في نفسه، فلما جاء النفير أبى أميةُ أن يخرج معهم إلى بدر...)[٤].

---

(١) المغازي، ١/٨٠.
(٢) انظر المغازي، ١/٣٨-٣٩.
(٣) إشكالية الزمن في النص السردي، ص: ١٣٥.
(٤) المغازي، ١/٣٥-٣٦.

فهذا الاسترجاع مزج بين حادثة كانت قبل الاستعداد لبدر؛ وحادثة حدثت في نهاية أحداث غزوة بدر حيث قتل أمية بن خلف، وقد كشف هذا الاسترجاع عن شخصيتين من أهل مكة، **الأولى:** أمية بن خلف، وسبب امتناعه عن الخروج مع قريش، أو تردده، و**الثانية؛** سعي أبي جهل ليكون هو المسؤول عن أمن قريش، وعرَّفنا في الوقت نفسه بمعجزة تنبؤ النبي ﷺ بمقتل أمية قبلها بزمن طويل.

الاستباق:

هو تقنية سردية أخرى عكس الاسترجاع، فهي تعني (مفارقة تتجه نحو المستقبل بالنسبة إلى اللحظة الراهنة "تفارق الحاضر إلى المستقبل"، إلماح إلى واقعة أو أكثر ستحدث بعد اللحظة الراهنة، أو اللحظة التي يحدث فيها توقف للقص الزمني؛ ليفسح مكانًا للاستباق)[١]، فهي تقنية سردية مهمة للراوي المفارق لمرويه، إذ تعد(عصب السرد الاستشرافي، ووسيلته إلى تأدية وظيفته في النسق الزمني للرواية ككل، وعلى المستوى الوظيفي تعمل هذه الاستشرافات بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة، أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات، كما أنها قد تأتي على شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات)[٢]، وقد ظهرت وظائف هذه التقنية بوضوح في سرد غزوة بدر، إذ يقوم الاستباق بوظيفة الاسترجاع أيضًا، من ملء فراغات زمنية تساعد على فهم مسار الأحداث، أو ربط حادث بسلسلة من الحوادث اللاحقة، كما (أنه يزرع أفق توقعٍ، ويرصد ما سيحدث لاحقًا، وبذا فدوره في تركيب [الحدث] ذو تأثير خاص)[٣]، وينقسم الاستباق إلى صنفين:

---

(١) المصطلح السردي، جيرالد برنس، ص: ١٨٦.

(٢) شعرية الخطاب السردي، محمد عزام، ص: ١٠٩.

(٣) السردية العربية، ص:.١١٥

أ- الاستباق الخارجي. ب- الاستباق الداخلي.

ويمكننا أن نتبين ذلك من بعض الشواهد:

أ- الاستباق الخارجي:

وهو عبارة عن استشراف مستقبلي خارج الحد الزمني للمحكي الأول، من ذلك ذكره موقفًا لسهيل بن عمرو أثناء أسْره ، عندما أراد عمر أن يخلع بعض أسنانه حتى لا يقوم خطيبًا في وجه الدعوة، ردّ عليه رسول الله ﷺ قائلا: (لا أمثِّل به فيمثِّل الله بي وإن كنت نبيًّا، ولعله يقوم مقامًا لا تكرهه. فقام سهيل بن عمرو حين جاءه وفاة النبي ﷺ بخطبة أبي بكر رضي الله عنه بمكة- كأنه كان يسمعها. قال عمر حين بلغه كلام سهيل: أشهد إنك لرسول الله!)[1]. هذا الاستباق لحدث سيحدث في زمن الردة كشف لنا عن نبوءة للنبيﷺ بأن سهيل ابن عمرو سوف يسلم في المستقبل، وكذلك كشف لنا عن جزء من شخصية سهيل بأنه خطيب بارع للمشركين مؤثر على سامعيه.

ومن ذلك ما أورده من حديث "قباث" عن فراره بعد انتهاء القتال يوم بدر، ومتابعته حتى أسلم بعد غزوة الخندق: يقول قباث: (فانهزمت فيمن انهزم، فلقد رأيتني وإني لأنظر إلى المشركين في كل وجه، وإني لأقول في نفسي: ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء! ... فمكثت بمكة، فلما كان بعد الخندق قلت: لو قدمت المدينة فنظرت ما يقول محمد! وقد وقع في قلبي الإسلام. فقدمت المدينة فسألت عن رسول الله ﷺ فقالوا: هو ذاك في ظل المسجد مع ملإٍ من أصحابه. فأتيته، وأنا لا أعرفه من بينهم، فسلمت فقال: يا قباث بن أشيم، أنت القائل يوم بدر «ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء» ؟ قلتُ: أشهد أنك رسول الله ...)[2]. في السرد السابق نجد الراوي يسوق لنا واقعة حدثت

(١) المغازي، ١٠٧/١.

(٢) السابق، ٩٧/١.

بعد عدة سنوات من غزوة بدر وهو زمن خارج إطار زمن الغزوة، فهذا الاستشراف بمثابة تمهيد لأحداث لاحقة، والتكهُّن بمستقبل هذه الشخصية.

ب- الاستباق الداخلي:

وهو استباق يقع داخل المدى الزمني المحدد للإطار السردي دون أن يتجاوزه، من ذلك اعتذار أسيد بن حضير للنبيﷺ عن عدم شهود قتال بدر، لأنه ظن أنه لا يكون ثَمّت قتال: (فلما قدم رسول الله ﷺ قال له أسيد: الحمد لله الذي سرك وأظهرك على عدوك! والذي بعثك بالحق، ما تخلفت عنك رغبة بنفسي عن نفسك، ولا ظننت أنك تلاقي عدوا، ولا ظننت إلا أنها العير. فقال له رسول الله ﷺ : صدقت!)[1]، فهذا استحضار مستقبلي قبل بدء أحداث الغزوة، إذ كان هذا الاعتذار بعد رجوع النبي ﷺ إلى المدينة، وقد كشف لنا هذا الاستباق عن صدق شخصية أسيد، لأن النبيﷺ قبل اعتذاره وشهد له بالصدق.

ومن ذلك إرسال النبيﷺ "طلحة، وسعيد" لتحسس أخبار القوم قبل خروجه لبدر بعشرة أيام، ثم يذكر في هذا الموقع المتقدم من السرد ملاقاتهما للنبي ﷺ وهو راجع من بدر: (... فقدم طلحة بن عبيد الله وسعيد المدينة اليوم الذي لاقاهم رسول الله ﷺ ببدر، فخرجا يعترضان النبي ﷺ فلقياه بتربان)[2]. جاء ذكر هذا الخبر بعد أن ندب رسولُ الله ﷺ الناس للغزوة، واستكمل الواقدي بقية خبرهما كاملا في بداية تحرك النبي ﷺ من المدينة وهو استباق لفترة تسبق أحداث غزوة بدر بأكثر من عشرة أيام، لكن السارد استحضرها تامة ليكشف عن خطة النبي ﷺ في الاستعداد والتخطيط النبوي الدقيق، وأخذ الحيطة والحذر، كما يبين دور هذين الصحابيين في تنفيذ هذه الخطة بما لديهم من خبرة بالبادية، والتخفي من عيون المشركين، ولذلك لم يشهدا قتال بدر لانشغالهما بهذه المهمة الجليلة.

---

(١) المغازي، ٢١/١.
(٢) المغازي، ١٩/١-٢٠.

ومن الاستباقات الداخلية التي كان لها دور مهم في تحريك الأحداث وإحداث خلخلة في صفوف المشركين، ما جاء في الرؤى التي أثبتها الواقدي، وهي ثلاث رؤى، **الأولى**؛ رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب: [٢٩/١]، **والثانية:** لضمضم بن عمرو ساقها مع السابقة: [٣١/١]، **والثالثة:** لجهيم بن الصلت؛ [٤٢/١]، فقد أسهمت هذه الرؤي في احتدام الصراع الداخلي بين زعماء قريش، وظهور القلق على بعضهم أمثال؛ أبي لهب الذي تخلف عن الخروج وأرسل رجلا بدلا منه، ومنهم من همَّ بالرجوع أمثال حكيم بن حزام، وعتبة، وشيبة، والحارث بن عامر، ومنهم من رجع بقومه كالأخنس بن شريق، وهذا كله من آثار هذه الرؤى التي اجتمعت على نتيجة واحدة هي تقديم (نبوءة ضمنية أولية بخسائر قريش)، وقد كانت تلك الرؤى (تقنية من التقنيات السردية التي تشير إلى مستقبل أو مصير بعض الشخصيات المهمة)[١].

التزامن أو التناوب:

تعد تقنية التزامن من إحدى تقنيات السرد و(هو أن يروي الراوي في فقرة واحدة حادثتين لا يجمع بينهما إلا كونهما جرتا في زمن واحد، والتزامن يتضمن التناوب؛ لأن الانتقال من حادث إلى حادث آخر يعني تعليق الأول ثم العودة إليه ، ويعني رواية الثاني ثم تعليقه)[٢]، وقد اعتمد الواقدي هذه التقنية؛ لأن كتابة الأحداث وتسجيلها (تفرض تتابعا في الأفعال، فحادثان أو فعلان وقعا في وقت واحد، لا يمكن أن يعرضا إلا واحدا بعد الآخر)[٣]، وقد اعتنى الواقدي

(١) كتابة السيرة النبوية عند رفاعة الطهطاوي، ص: ٦٠ -٦١.

(٢) قضايا الروية الجديدة، جان ريكاردو، ترجمة صياح الجهيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق، ١٩٩٧م، ص: ٢٥٧، نقلا عن كتاب: الزمن في الرواية العربية، مها حسن قصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبع الأولى، ٢٠٠٤م، ص: ٩٢.

(٣) إشكالية الزمن في النص السردي، ص: ١٣١.

بعرض مثل الوقائع المتزامنة، على سبيل المثال: حدث أمران مهمان في آنٍ واحد، قبل المواجهة بين النبيﷺ والمشركين، **الأول**؛ تجهّز النبي ﷺ للخرج لملاقاة قوافل قريش القادمة من الشام. **والثاني**؛ إعداد قريش العدة لمهاجمة النبي ﷺ وأصحابه وحماية القوافل، وهذا اقتضي من "الواقدي" السارد (الانتقال من واحدة إلى أخرى، وترك الخط الزمني الأول للتعرف على ما تفعله الشخصية الثانية أثناء معايشة الأولى لحياتها، فالتزامن في الأحداث يجب أن يترجم إلى تتابع في النص، ويتطلب ظهور كل شخصية جديدة [أو حدث] العودة إلى الوراء لكشف بعض العناصر المهمة، وربما الاحتفاظ ببعض العناصر لكشفها في زمن لاحق، ولذلك كان التسلسل النصي للزمن في [السرد] من تقديم وتأخير وحذف وغير ذلك من الأبنية المهمة في الرواية)[1]، لأن سرد الأحداث جاء بعد زمن طويل، ومن ثم فإن السارد على علم بتفاصيل متنه الحكائي كله، فهو في محاولة دائبة لعرض الأحداث المتزامنة بطريقة فنية لا تفوّت حدثا يتصل بالواقعة الأصلية.

ومن شواهد هذا التزامن السردي؛ ما ورد في حديث رجوع أبي سفيان بالعير من الشام، وأراد أن يستقي من آبار بدر، فيترك الواقدي تكملة هذا الخبر، ليعرض لنا مشهدًا آخر يحدث في الوقت نفسه وهو ورود اثنين من صحابة رسول الله ﷺ على الماء نفسه يتحسسان أخبار عير أبي سفيان، وأورد الواقعتين على النحو الآتي: (وأقبل أبو سفيان بالعير، وخافوا خوفًا شديدًا حين دنوا من المدينة واستبطئوا ضمضمًا والنفير، فلما كانت الليلة التي يصبحون فيها على ماء بدر،...) ثم يسوق في الوقت نفسه خبر بسبس وعدي وقد نزلا على ماء بدر قبل قدوم أبي سفيان: (وكان بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء وردا على مجدي بدرا يتحسسان الخبر، فلما نزلا ماء بدر أناخا

(١) بناء الرواية، سيزا قاسم، ص: ٥٤-٥٥.

راحلتيهما إلى قريب من الماء، ثم أخذا أسقيتهما يستقيان من الماء،...) فلما سمعا حوار الجاريتين تتحدثان عن قدوم عير قريش بعد يوم أو يومين، (انطلقا راجعين إلى النبي ﷺ، حتى لقياه بعرق الظبية فأخبراه الخبر)[1].

في الوحدات السردية السابقة جمع الواقدي بين حادثين متزامنتين واحدة تلو الأخرى فبعد أن قطع السرد عن خبر خروج قريش من مكة، انتقل إلى وصف المشهد حول ماء بدر، فنقل لنا نزول عدي وبسبس على الماء، وحوار الجارتين حوله، ثم الحوار المهم الذي دار بين مجدي البدوي ومعاوية، وذكر ما ترتب على هذا الحوار من معرفة معاوية بقرب أهل المدينة، ثم نجاته من الوقوع في قبضة المسلمين: فبعد أن أشار مجدي إلى مناخ عدي وبسبس الذي أناخا به، ثم استقيا بأسقيتهما، ثم انصرفا، **(جاء أبو سفيان** مناخهما، فأخذ أبعارا من بعيريهما ففتَّه، فإذا فيه نوى، فقال: هذه والله علائف يثرب، هذه عيون محمد وأصحابه، ما أرى القوم إلا قريبا! فضرب وجهَ عيره، فساحلَ بها، وترك بدرًا يسارًا، وانطلق سريعًا. **وأقبلت قريش من مكة،** ينزلون كل منهل يطعمون الطعام من أتاهم، وينحرون الجزر)[2]، هكذا وضع الواقدي في فقرة واحدة المشاهد الثلاثة؛ -نزول بسبس وعدي على الماء، وحوار معاوية مع مجدي، وتحرك قريش من مكة- أمام المتلقي محاولا أن (يقدم لسامعيه الأحداث في خط متسلسل تسلسلا زمنيًّا مطردًا، وبنفس ترتيب وقوعها، وتمثل الأحداث الوحدات الأساسية التي يتكون منها القص في تسلسله)[3]؛ حيث انتقل الواقدي من وحدة سردية تتناول خبر اللذين بعثهما النبي لتحسس أخبار القافلة، إلى وحدة سردية أخرى تتناول مجيء أبي سفيان من الشام، ثم ترك هذا الخط الزماني والمكاني

(١) المغازي، ١/٣٩ -٤٠.

(٢) السابق، ١/٤١.

(٣) بناء الرواية، سيزا قاسم، ص: ٥٤.

وانتقل إلى وحدة سردية ثالثة، تتناول تحركات قريش، للتعرف على ما تفعله كل شخصية، ورصد تغير الأحداث المتزامنة.

ومن شواهد عناية الواقدي بوصف الأحداث المتزامنة في مكان واحد ما نراه من وصفه لنزول المسلمين بدرًا، وفي الوقت نفسه يعرض لنا نزول قريش المكان نفسه من الجهة الأخرى(١)، دون أن يعلم أحدُ الفريقين بالآخر.

الوقفة الوصفية:

تقوم هذه التقنية السردية على الإبطاء في عرض الأحداث؛ لإفساح المجال أمام السارد لتقديم بعض التفاصيل الجزئية(٢)، وهذا (يقتضي انقطاع السيرورة الزمنية وتعطيل حركتها، فيظل زمن القصة يراوح في مكانه بانتظار فراغ الوصف من مهمته، حيث ينقطع سير الأحداث ويتوقف الراوي ليصف شيئًا أو مكانًا أو شخصًا، وليست هذه الوقفات الوصفية زائدة، بل هي أهداف سردية، يضيء السرد فيها الحدث القادم، وتتجلى فيها أسلوبية الروائي)(٣)، وقد اعتمد الواقدي هذه التقنية في بعض المواضع، من شواهدها؛ توقُّف السارد عن سرد تتابع الأحداث الرئيسة للغزوة؛ ليصف لنا أموال قريش التي كانت في قافلة أبي سفيان بقوله: (ولحقت قريش بالشام في عيرها، وكانت العير ألف بعير، وكانت فيها أموال عظام، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدًا، إلا بعث به في العير، حتى إن المرأة لتبعث بالشيء التافه. فكان يقال: إن فيها لخمسين ألف دينار، وقالوا أقل، وإن كان ليقال إن أكثر ما فيها من المال لآل سعيد بن العاص- أبي أحيحة- إما مال لهم، أو مال مع قوم قراض على النصف، فكانت عامة العير لهم. ويقال كان لبني مخزوم فيها مائتا بعير، و[خمسة أو] أربعة

---

(١) انظر المغازي، ١/٥١-٥٢.

(٢) انظر: إشكالية الزمن في النص السردي، ص: ١٤٠ .

(٣) شعرية الخطاب السردي، محمد عزام، ص: ١١٠.

آلاف مثقال ذهب، وكان يقال للحارث بن عامر بن نوفل فيها ألف مثقال، وكان لأمية بن خلف ألفا مثقال...)[1]، إلى آخر ما وصفه. يتوقف السارد هنا عن سرد أحداث رحلة النبيﷺ الذي (أصبح ببطن ملل وتربان)، وهو في طريقه إلى بدر؛ ليقدم تقريرًا وصفيًا عن أموال قريش في تلك القافلة القادمة من بلاد الشام ومدى أهميتها لأهل مكة، مما يعلل إصرار قريش في المضي قدما تجاه المواجهة؛ لأنها معركة وجود، وتقرير مصير.

كذلك تتبدى لنا هذه الوقفة السردية في الوصف التفصيلي لمشهد نزول الملائكة لتقاتل مع المسلمين رواية عن سهيل بن عمرو وابن عمه الذي مات من مشهد نزول الملائكة: (...، إذ رأيت سحابة دنت منا، فسمعت فيها حمحمة الخيل وقعقعة اللجم والحديد، وسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم! فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات، وأما أنا فكدت أهلك، فتماسكت وأتبعت البصر حيث تذهب السحابة، فجاءت إلى النبي ﷺ وأصحابه ...).

ثم يتابع سرده هذا الخبر برواية أخرى عن شخصية أخرى؛ عن أبي رهم الغفاري، عن ابن عم له وهما في معسكر قريش، (... فبينما نحن نمشي فى المسيرة، إذ جاءت سحابة فغشيتنا، فرفعنا أبصارنا إليها فسمعنا أصوات الرجال والسلاح، وسمعنا رجلا يقول لفرسه: أقدم حيزوم! وسمعناهم يقولون: رويدا، تتام أخراكم! فنزلوا على ميمنة رسول الله ﷺ، ثم جاءت أخرى مثل تلك، وكانت مع النبى ﷺ فنظرنا إلى النبي ﷺ وأصحابه فإذا هم الضعف على قريش، فمات ابن عمي...)[2]. هذه الوقفات الوصفية أوقفت سرد تصاعد الأحداث؛ لإفساح المجال ليقدم لنا بعض التفصيلات التي كانت أثناء المواجهة القتالية.

---

(١) المغازي، ١/٢٧-٢٨.

(٢) السابق، ١/٧٦.

المشهد:

وهي تقنية تخص (الحوار حيث يغيب الراوي، ويتقدم الكلام كحوار بين الشخصيات)[١]، وفيها يترك السارد الشخصيات والأحداث تتضح من خلال الحوار، وقد تمثل ذلك في الحوارات الكثيرة التي دارت بين المشركين قبل خروجهم من مكة، ثم بعد خروجهم وهم في طريقهم إلى بدر، إذ نشبت منازعات ومجادلات حول الخروج، حيث كرهت طائفة منهم الخروج، من تلك المشاهد ذلك الحوار الذي دار بين أهل مكة قبل الخروج، وقيام بعضهم بالخطابة فيهم: وأهم الخطباء في تلك المشاهد: حنظلة بن أبي سفيان، وزمعة ابن الأسود، وطعيمة بن عدي، وسهيل بن عمرو، وقد حثَّ كل واحد منهم أهل مكة على الخروج وحفظ أموالهم[٢].

ومن تلك الحوارات حوار أبي جهل مع بعض بني عبد المطلب بعد رؤيا عاتكة، وقبل العزم على الخروج من مكة: (قال أبو جهل: إنا استبقنا المجد وأنتم فقلتم: فينا السقاية! فقلنا: لا نبالي، تسقون الحاج! ...، قلتم: منا نبي! ثم قلتم: منا نبية! فلا واللات والعزى، لا كان هذا أبدا!)[٣].

ومن ذلك أيضا الحوار الذي دار بين النبيﷺ وأصحابه قبيل وصوله إلى بدر، قال الواقدي: (ومضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان دُوين بدر أتاه الخبر بمسير قريش، فأخبرهم رسول الله ﷺ بمسيرهم، واستشار رسول الله ﷺ الناس،...)[٤] فتكلّم ؛ أبو بكر، ثم المقداد بن عمرو، ثم سعد بن معاذ، كل يدلي برأيه.

---

(١) شعرية الخطاب السردي، ص: ١١١.

(٢) انظر المغازي: ٣٢/١.

(٣) السابق، ٣٠/١، وانظر حوار: عمير ابن وَهْبِ بْنِ عُمَيْرِ الْجُمَحِيّ مع صَفْوَانَ بْنِ أُمَيّةَ فِي الْحِجْرِ، ١٢٥/١.

(٤) السابق، ٤٨/١.

هذه كلها حوارات دارت بين أفراد الفئتين، ترك السارد المجال للشخصيات التي تشارك في الحدث تطرح رؤيتها للأحداث.

الحذف:

والمقصود به هنا الحذف الزمني الذي يتصل بالأحداث، وهي تقنية سردية تهدف إلى تسريع الحدث، وتخطي مدة حكائية دون الإشارة لما حدث فيها، وقسَّمَه جيرار جنيت من وجهة النظر الشكلية إلى:

أ) **الحذوف الصريحة**[١]، والتي يكون المدة المشارة إليها محددة، أو هي التي يشير فيها السارد على لسانه أو على لسان إحدى الشخصيات بعبارات موجزة جدا لحجم المدة المخصومة على مستوى الحكاية.

ب) (**الحذوف الضمنية:** تلك التي لا يصرح في النص بوجودها بالذات، والتي إنما يمكن القارئ أن يستدل عليها من ثغرة في التسلسل الزمني)[٢].

من شواهد الحذوف الصريحة أو المحددة، ما كان من إخبار رجل من جذام عمرو بن العاص بإقامة النبي ﷺ شهرا ينتظر مرور القافلة: (وكان عمرو ابن العاص يحدث يقول: لما كنا بالزرقاء ونحن منحدرون إلى مكة، لقينا رجلا من جذام، فقال: قد كان عرض محمد لكم في بدأتكم في أصحابه. فقلنا: ما شعرنا! قال: بلى، **فأقام شهرًا ثم رجع إلى يثرب**)[٣].

ومن شواهده أيضًا ذكر مدة بكاء قريش قتلاها: (...، **فناحت قريش على قتلاها شهرًا**، ولم تبق دار بمكة إلا فيها نوح)[٤].

ومن أمثلة النوع الثاني وهو **الحذوف الضمنية،** ما ورد في سياق بلوغ هزيمة قريش النجاشي في الحبشة: (بلغ النجاشي مقتل قريش بمكة وما ظفر الله

(١) خطاب الحكاية، ص: ١١٧-١١٨.
(٢) السابق، ص: ١١٩.
(٣) المغازي، ٢٨/١.
(٤) السابق، ١٢٢/١.

به نبيه، فخرج في ثوبين أبيضين، ثم جلس على الأرض، ثم دعا جعفر بن أبي طالب وأصحابه فقال: أيكم يعرف بدرا؟ فأخبروه، فقال النجاشي: أنا عارف بها)[١]، وضعنا السارد أما الحدث مباشرة وهو بلوغ نبأ انتصار المسلمين على المشركين في بدر، دون التعرض للطريقة التي وصل بها الخبر، ولا ذكر لنا المدة التي استغرقها وصول ذلك النبأ بلاد الحبشة.

وكذلك من شواهده: حديث " قباث بن أشيم " عن نفسه وعن مكوثه مدة في مكة قبل أن يقبل عن النبي ﷺ ويُسْلم: (فمكثت بمكة، فلما كان بعد الخندق قلت: لو قدمت المدينة فنظرت ما يقول محمد! وقد وقع في قلبي الإسلام. فقدمت المدينة فسألت عن رسول الله ﷺ فقالوا: هو ذاك في ظل المسجد مع ملإٍ من أصحابه. فأتيته...)[٢]. فهذه سنوات طويلة بين بدر والخندق اختصرها السارد في كلمات معدودة.

ومن شواهده أيضا رحلة تحسس الأخبار التي استمرت أكثر من عشرة أيام لطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد، (قبل خروج النبيﷺ من المدينة **بعشر ليال**،... حتى نزلا على كشد الجهني بالنخبار من الحوراء فأجارهما، وأنزلهما، **ولم يزالا مقيمين عنده في خباء** حتى مرت العير)[٣]، أوجز السارد رحلة عشرة أيام في تلك الأسطر القليلة دون ذكر تفاصيل، مركزا على الغاية التي ذهبا من أجلها الصحابيان.

ألفاظ دالة على الزمن:

أورد الواقدي بعض الألفاظ الدالة على الزمن الواقعي الطبيعي، مثل الليل، النهار، الصبح وغيرها؛ رابطا تلك الأوقات بأحداثها، ومتتبعا التسلسل الواقعي

---

(١) المغازي، ١/١٢٠.

(٢) السابق، ١/٩٧-٩٨.

(٣) السابق، ١/١٩-٢٠.

للأحداث، وذلك من خلال الإطار الزماني والمكاني لأحداث الغزوة كما حدثت في على أرض الواقع، لكننا نبدأ برصد زمن مهم من أزمنة السرد هو "الزمن النفسي" لدى بعض الشخصيات.

الزمن النفسي أو الذاتي:

وهو معيار –كما يقول أحد النقاد– (لقياس الزمن ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار؛ وهو المعيار الداخلي أو السيكولوجي الذي يقدر فيه الزمن بالقيم الفردية الخاصة... فالوقت السيكولوجي يتغير كثيرًا تبعًا للظروف، يسير الزمن بخطى مختلفة تبعًا لاختلاف الأشخاص... فهناك الذين يمشي معهم الزمن، والذين يخبّ معهم الزمن، والذين يعدو معهم الزمن، والذين يقف معهم ساكنًا)[1]، وقد رصد هذا الزمن عند إحدى شخصيات الحدث، وهو حكيم بن حزام أثناء مواجهة المشركين مع المسلمين قال: (وكان حكيم بن حزام يقول: انهزمنا يوم بدر فجعلت أسعى وأقول: قاتل الله ابن الحنظلية! يزعم أن النهار قد ذهب، والله إن النهار لكما هو! قال حكيم: وما ذاك بي إلا حبًّا أن يأتي الليل، فيقصر عنا طلب القوم)[2]، من هذا النص تظهر لنا دلالات متعددة من أهمها إحساس حكيم بن حزام بزمن خاص به، طول النهار على وقته الطبيعي، في حين أن أبا جهل يحسّ بغير هذا الإحساس، وأيضًا نفهم من هذا النص نشاط أبي جهل في الحرب وتحفيزه المقاتلين بإخبارهم أن النهار لايزال طويلا وأنه توجد فرصة للنصر، فعلينا أن نكثف المواجهة. كذلك نستدل منه ارتباط القتال والمواجهة بالنهار.

النهار:

في النهار أيضًا استعرض رسول الله ﷺ جنوده، قال: (كان خلاد بن عمرو بن الجموح يقول: لما كان من **النهار** رجع إلى أهله بخربى، فقال له أبوه

(١) الزمن والرواية، أ.أ.مندلاو، ترجمة بكر عباس، مراجعة إحسان عباس، دار صادر_ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص: ١٣٨.
(٢) مغازي الواقدي: (١/ ٩٥) .

عمرو بن الجموح: ما ظننت إلا أنكم قد سرتم! فقال: إن رسول الله ﷺ يعرض الناس بالبقع)[١]، فالنهار هو ميدان الحركة والنشاط.

الليل:

هو وقت الهدوء والسكون، وقد اعتنى الواقدي بربط بعض الأحداث بالليل، ففي الليل كان نزول (رسول الله ﷺ وادي بدر **عشاء** ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان)[٢]، وفي الليل أرسل رسول الله ﷺ من يتحسس أخبار القوم، لأن النهار لا يصلح لهذه المهمة.

وفي الليل احتاج الجيش إلى من يقوم على حراسته، وقد طلب هذه الحراسة ليلا رسول الله ﷺ عندما رجع من بدر، ونزل مع غروب الشمس في وادي الأثيل، عندما (قال لأصحابه: من رجل الليلة يحفظنا؟)[٣].

وكذلك احتاج المشركون إلى من يحرسهم ليلا عندما علموا بقرب المسلمين منهم، وقد أخذوا غلمانهم الذين يستقون للجيش، قال عتبة لحكيم بن حزام: (يا أبا خالد، أتخاف أن يبيتنا القوم؟ قلت: لا آمن ذلك. قال: فما الرأي يا أبا خالد؟ قال: نتحارس حتى نصبح، وترون من وراءكم. قال عتبة: هذا الرأي!)[٤].

وكان تحرك النبي إلى بدر ليلا: (وراح رسول الله ﷺ عشية الأحد من بيوت السقيا)[٥].

وصبيحة يوم ١٧ رمضان كانت بداية المناوشات والقتال، وآخر النهار كانت نهاية أحداث القتال والمواجهة؛ (وكان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس)[٦].

---

(١) مغازي الواقدي: (١/ ٢٣).
(٢) السابق: ١/٥١.
(٣) السابق: ١/١١٣.
(٤) السابق: ١/٥٢.
(٥) السابق: (١/ ٢٣).
(٦) السابق: ١/١١٢.

ويتواصل السير بالليل مع النهار عند الخوف من الطلب كما حدث من سير قافلة قريش خوفا من المسلمين: (ساحلت العير فأسرعت، وساروا الليل والنهار فرقا من الطلب)[١].

وبينما يكون السير ليلا، فإن النزول بالمكان على الأغلب يكون صباحًا: (وأصبح رسول الله ﷺ ببطن ملل وتربان، بين الحفيرة وملل)[٢]. وأحيانا يكون عشاء مثل ما كان من قريش (ثم انتهوا إلى الجحفة **عشاء**،...)[٣].

وبالليل كانت الرؤى المنامية. وهذا كله يدلنا على وعي الواقدي بعنصر الزمن التتابعي في تشكيل بنية السرد الزمنية ومن ثَمَّ (يتحقق التناغم بين زمن الحكاية وزمن الخطاب حيث يسير الزمنان في خط متسلسل)[٤]، وهذا التتابع الزمني في السرد لا يعني عدم وجود مفارقات زمنية.

المحور الثالث: المكان (الفضاء الجغرافي)

الفضاء الجغرافي هو الحيّز الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتحدث فيه وقائع السرد (وهو مقابل لمفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال، أو يفترض أنهم يتحركون فيه)[٥]؛ لأن الأحداث لابد لها من مكان تجري عليه، لذلك فإن الروائي (يقدّم دائمًا حدًّا أدنى من الإشارات "الجغرافية" التي تُشكّل نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال

---

(١) مغازي الواقدي: (١/ ٢٠).

(٢) السابق: (١/ ٢٦).

(٣) السابق: (١/ ٤٢).

(٤) الزمن في الرواية العربية، مها حسن قصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبع الأولى، ٢٠٠٤م، ص: ٥٦.

(٥) بنية النص السردي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص: ٦٢.

القارئ، أو من أجل تحقيق استكشافات منهجية للأماكن)[١]، أو بيان موقع شخصيات الحدث من الفضاء الذي تتحرك فيه، وبخاصة في النصوص السردية التي ترصد تاريخًا حقيقيًا وواقعيًا، (فالمكان ليس عنصرًا زائدًا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا، ويتضمن معاني عديدة)[٢]، وقد اعتنى الواقدي بتحديد الفضاء الجغرافي الذي دارت فيه أحداث الغزوة، لأنه كان فضاء متسعًا، إذ (تبعد بدر عن المدينة حوالي "١٥٠" كيلا، وعن مكة "٣١٠" أكيال، وتبعد عن سيف البحر قرابة "٤٥" كيلا)[٣]، ولذا كثرت الأماكن التي نزلها الفريقان، إذ أورد الواقدي في ثنايا هذا الفضاء ما يقرب من (ستة وسبعين موضعًا) بعضها تكرر ذكره مرات؛ وبعضها اكتسب أهمية شديدة في بناء الأحداث، فمن أهم الأماكن التي تكررت في غزوة بدر، واكتسبت أهمية خاصة في الأحداث:

الموضع	وروده	الموضع	وروده	الموضع	وروده
مكة	٣٣	مر الظهران	٤	عرق الظبية	٣
المدينة	٢٦	نخلة	٤	البقع	٢
بدر	١٧	الأثيل	٤	ملل	٣
يثرب	٨	أحد	٤	البقع	٢
الروحاء	٧	ذو طوى	٣	النخبار	٢
الجحفة	٦	تربان	٣	حسيكة الذبان	١
بيوت السقيا	٦	سير	٣		

(١) بنية النص السردي، ص: ٥٣.

(٢) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص: ٣٣.

(٣) معجم المعالم الجغرافِية فِي السِّيرَةِ النبوِية، عاتق بن غيث، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

اعتنى الواقدي برصد الأمكنة المتعددة –وهي كلها أماكن مفتوحة في صحراء الحجاز– التي لها صلة بالغزوة وتحديد موقعها من المدينة مكان الانطلاق إلى نقطة الوصول ماء بدر، سواء لتحركات النبيﷺ وأصحابه أو لتحركات المشركين؛ لأن (تغير الأحداث وتطورها، يفترض تعددية في الأماكن واتساعها، أو تقلصها)[1]، حسب طبيعة الحدث المرتبط به، والزمن المتصل به. وقد تتبع الواقدي خروج النبيﷺ من المدينة وحتى وصوله إلى بدر، ثم الرجوع إلى المدينة، وكذلك رصد تحركات أبي سفيان المكانية وهو قادم من بلاد الشام، كذلك رصد تحركات قريش من مكة وحتى وصولها ماء بدر، وهذا الوصف للأماكن المتفرقة تحول إلى ما يشبه الخطة للراوي في إدارة الحوار، وإقامة الحدث الروائي بواسطة الأبطال، وسوف نتوقف أمام بعض أماكن كان لها دور مهم في أحداث الغزوة، وإن كان كل مكان في السرد له دوره المنوط من خلال زمنه الذي تلبس به. لكننا نكتفي هنا ببعضها، فمن تلك الأماكن التي وردت في أوائل سرده الغزوة، وحددها وعرّف بعضها على النحو الآتي:

النخبار: من وراء ذي المروة على الساحل. **وتربان:** بين ملل والسيالة على المحجة، وكانت منزل ابن أذينة الشاعر. **والبقع: وهي بيوت السقيا؛** البقع نقب بني دينار بالمدينة، والسقيا متصل ببيوت المدينة. **وخُم: على ميلين من الجحفة. وحُسَيْكَة الذباب:** منزل بني سلمة، حيث كان بينهم وبين أهل حسيكة ما كان، **والذباب:** جبل بناحية المدينة، كان **بحسيكة:** يهود، وكان لهم بها منازل كثيرة][2]. وهذا التحديد من الواقدي يكشف عن وعيه بأهمية المكان في إدارة الحدث والكشف عن شخصياته التي ترتبط به، ففي هذه الأمكنة كانت مقدمات أحداث الغزوة، ويمكننا الكشف عن أهميتها في الحدث على النحو الآتي:

(١) معجم المعالم الجغرافية، ص: ٦٣.

(٢) انظر: المغازي، ١/١٩-٢٠.

"**النخبار**": هو أول موضع ورد ذكره في هذه الغزوة، وهذا الموضع شهد أول تحركات أحداث الغزوة، وهو نزول اثنين من صحابة النبي ﷺ على رجل من أهل هذا المكان من قبيلة جهينة؛ ليأتيا بخبر عير قريش، ويفهم من هذا النزول على هذا الجهني؛ (أن منازل جهينة كانت تصل إلى هناك، وأن جهينة كانت قد أصبحت بالفعل حلفا لرسول اللهﷺ والمسلمين على قريش، بدليل أن كشدا الجهني أخفى طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد، وأنكر أن تكون رسل محمد قد وصلت إلى النخبار)[1]، إذا كشف المكان لنا عن دمر بعض الشخصيات التي وجدت في هذا المكان، مما أسهم في التعرف على دورها في بناء الحدث.

البقع وهي بيوت السقيا: تجيء أهمية هذا المكان من نزول النبيﷺ به؛ لأن بها آبار مياه عذبة، ومعلوم مدى أهمية الماء في الفضاء الصحراوي، فقد استقى منها النبيﷺ وأمر الجيش أن يستقي منها، كذلك من صلاة النبي ﷺ بأصحابه في هذا المكان وهذا بعد ديني آخر يضاف إلى أهمية هذا الفضاء الجغرافي، وأضف إليهما دعاء النبي يومئذ فيه لأهل المدينة وجعلها محرمة كتحريم سيدنا إبراهيم عليه السلام لمكة، وفي هذا المكان أيضا قدِم عديّ بن أبي الزغباء، وبسبس بن عمرو على رسول الله ﷺ ، وهما من قبيلة جهينة من بيوت السقيا، الذي كان لهما الدور البارز في الإتيان بأخبار قريش بعد ذلك عندما نزلا على مجدي[2]. وجاء أيضا عبد الله بن عمرو بن حرام إلى رسول الله ﷺ يومئذ يبشر رسول الله ﷺ بالنصر تفاؤلا بالمكان. ولأهمية اسم المكان غير رسول الله ﷺ اسم البقع إلى بيوت السقيا، حتى حرص سعد بن أبي وقاص على شرائها، وبارك النبي ﷺ هذا الشراء ومدحه.

---

(١) دراسات في السيرة النبوية، حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، ط١/ ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م ص: ١٨-١٩.

(٢) المغازي، ١/٤٠.

"**حسيكة الذباب**": ثم يجي هذا الموضع ليكشف لنا السارد عن دوره كمسرح للأحداث المهمة، ففي هذا الموضع استعرض النبيﷺ المقاتلين واحدا بعد واحد، وهذا حدث له دوره البارز في إدارة القتال بعد ذلك. وفي هذا الفضاء الجغرافي أيضا (دارت واحدة من أكبر المعارك [في الجاهلية] التي دارت بين اليهود والأوس والخزرج لسيادة المدينة)[١]، وفي هذا المكان المبارك كان تفاؤل عمرو بن الجموح، يقول د حسين مؤنس: (ويفهم من كلام عمرو بن الجموح أن كان يتوقع أن يكون في خروج رسول الله حرب مع قريش، ولهذا فهو يتفاءل بنزول رسول الله ﷺ عند البقع أي بيوت السُّقيا، ورجا له النصر)[٢]، بتأثير المكان (نرى كيف توقع عمرو بن الجموح الحرب، ولم يتوقعها أسيد بن حضير)[٣] الذي غاب عن المكان، ومن ثم غاب عن غزوة بدر.

من بيوت السقيا إلى تربان:

كانت هناك بين "بيوت السّقيا وتربان" تحركات للنبيﷺ حيث خرج من بيوت السقيا ثم سلك بطن العقيق، ثم طريق المكتمن ثم بطحاء ابن أزهر، حتى أصبح **ببطن ملل** وتربان، بين الحفيرة وملل.[٤]

عرق الظبية: في هذا المكان مكثا "بسبس، وعدي" يتنظران خبر عير الشام بأمر من النبيﷺ، فعندما علما خبر معاوية وعودته من الشام بالقافلة، كرا (راجعين إلى النبي ﷺ، حتى لقياه **بعرق الظبية** فأخبراه الخبر)[٥]. وفي ذات الموضع أيضا: (أقبل رسول الله ﷺ بالأسرى، حتى إذا كان **بعرق الظبية** أمر عاصم بن ثابت أن يضرب عنق عقبة بن أبي معيط)[٦].

---

(١) المغازي، ١/ ١٨.
(٢) السابق، ص:١٨.
(٣) السابق، ص: ١٨.
(٤) انظر المغازي، ٢٦/١.
(٥) المغا:زي، ٤٠/١.
(٦) المغازي، ١١٣/١.

جاء بناء المكان في النصوص السابقة عن طريقين، الأول؛ الوصف المباشر للمكان داخل الحدث وتحديد موقعه بالنسبة لما حوله من الفضاء الجغرافي وما يحدث فيه من وقائع تتصل بالحدث الإطار، والثاني: عن طريق بيان حركة الشخصيات داخل الأحداث، وكلا الطريقين كانا في خدمة بناء الإطارين الأساسيين؛ الزماني والمكاني.

الجحفة(١): كانت به أحداث بارزة لأهل مكة، بعد خروجهم إلى بدر سراعا، وقد جنَّدت كل طاقتها عددا وعدّة، ولم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبى لهب، ثم استمروا في السير حتى بلغوا هذا المكان عشاء. وعسكروا فيه بعض الوقت، وجاءهم الخبر من أبي سفيان؛ بنجاة القافلة، ونصحهم بأن يرجعوا إلى مكة. وهمَّ جيش مكة بالرجوع من هذا الموضع، ولكن أبا جهل رفض ذلك. ومن الوقائع المهمة التي كانت في هذا الفضاء الجغرافي:

١.رأى جهيم بن الصلت رؤيا تشبه رؤيا عاتكة، وشاعت هذه الرؤيا في معسكر قريش(٢).

٢.كاد أن يحدث انشقاق كبير بين جيش أهل مكة حين خلا عتبة بأخيه، وهَمّا معا بالرجوع؛ بعد سماعهما لرؤيا جهيم.

٣.ردَّت قريش القيان التي كانت تعزف لهم نزولا على رأي أبي سفيان.

٤.حدث انشقاق في جيش قريش، حيث رجع الأخنس بن شريق ببني زهرة(٣).

٥.وافى أبو سفيان المشركين(٤).

فهو من الأماكن المهمة الفاصلة في بناء الحدث السردي.

---

(١) الجحفة قرية على الطريق بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل مصر والشام إذا لم يمروا على المدينة.

(٢) المغازي، ٤٢/١.

(٣) انظر السابق، ٤٥/١.

(٤) انظر السابق، ٤٤/١.

ماء بدر: في هذا المكان كان اللقاء الحاسم، وقد قدم لنا الواقدي إشارة تاريخية عن أهمية هذا المكان في الجاهلية فقال: (وكان بدر موسما من مواسم الجاهلية يجتمع بها العرب، لها بها سوق)[١]. وبعد الهجرة شهد هذا المكان أول مواجهة حربية بين الإيمان والكفر، وقبل هذه المواجهة الفاصلة فقد شهدت آبار بدر عدة أحداث، أولها: نزول بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء يتحسسا أخبار قافلة قريش بعثهما النبيﷺ [٢]، قبل تحركه من المدينة، وقبل مقدم أبي سفيان من الشام.

وفي هذا المكان كان مرور أبي سفيان، واكتشف من خلال بعر راحلتي: "بسبس وعدي" أن النبيﷺ ومن معه على مقربة من ماء بدر، فغير طريقه بعيدا عن الرصد، (فضرب وجه عيره، فساحل بها، وترك بدرا يسارا، وانطلق سريعا)[٣].

وفي هذا المكان كان نزول النبي ﷺ (عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان) بعد فرار أبي سفيان بالعير، وفي الوقت نفسه كان وصول جيش قريش إليه على الجانب الآخر من فضاء ماء بدر، دون أن يعلم أي من الفريقين بالآخر. وفيه كانت الهزيمة التاريخية لجيش قريش.

ولأهمية المكان في بناء سير الحدث كان التخطيط من النبيﷺ في اختيار المكان المناسب لمواجهة قريش حيث استشار أصحابه في المكان المناسب، فأشار عليه الحباب بن المنذر فقال: (إن هذا ليس بمنزل! انطلق بنا إلى أدنى ماء القوم، فإني عالم بها وبقُلُبها، بها قليب قد عرفتُ عذوبة مائه، وماء كثير لا ينزح، ثم نبني عليها حوضا ونقذف فيه الآنية، فنشرب ونقاتل، ونغوِّر ما سواها

(١) انظر: المغازي، ١/٤٤.
(٢) السابق، ١/٤٠.
(٣) السابق، ١/٤١.

من القُلُب. فقال رسول الله ﷺ يا حباب، أشرت بالرأي!)[١]. دل هذا التشاور حول اختيار المكان على أهميته البالغة، ثم كان التأييد من الله عزّ وجل في تهيئة هذا المكان لأداء دوره بالكامل؛ فجاء على لسان إحدى الشخصيات قوله: فبعث (الله السماء وكان الوادي دهسا- والدهس الكثير الرمل- فأصابنا ما لبد الأرض ولم يمنعنا من المسير، وأصاب قريشا ما لم يقدروا أن يرتحلوا منه، وإنما بينهم قوز من رمل)[٢]. ثم نزلت آيات في سورة الأنفال تؤكد هذه الأهمية وتلك التهيئة الربانية للمكان حتى أدي دوره، فقال تعالى: {إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ } [الأنفال:٤٢] قال المفسرون: إذ أنتم بشفير الوادي الأدنى من المدينة، وعدوّكم بشفيره الأقصى إلى مكة، والركب: أبو سفيان وأصحابه. قال قتادة كان المسلمون أعلى الوادي، والمشركون أسفله[٣].

إذن شكَّل فضاء هذا المكان "ماء بدر وما حوله" بؤرة مركزية في الفضاء الجغرافي الكلي للغزوة، فقد جذب إليه معظم الأحداث، وتلبست به أغلب الشخصيات، ليكون مسرحا لتحولاتها وصراعاتها، وأفعالها وشريكا فيها بآن واحد.

وذكر الواقدي بعض الأماكن السهلة التي قامت فيها شخصيات الحدث ببعض الأفعال، فقد أورد عدة أماكن صلَّى فيها النبي ﷺ مثل المواضع الآتية: الدّبَة، وسَيَر، وذَاتِ أَجْدَالٍ، وخَيْف، وعَيْنِ الْعَلَاءِ، والْخَبِيرَتَيْنِ[٤]؛ لأنه أحسّ فيها بالأمن والاستقرار. فالمكان هنا تابع لحركة الشخصية وأفعالها، نتعرف على المكان من خلال حركتها فيه.

---

(١) المغازي، ٥٣/١.
(٢) السابق.
(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، بعناية زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى الجديدة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ص: ٥٥٥ .
(٤) انظر: المغازي، ٥١/١.

وذكر الواقدي بعض الأماكن العالية السلبية التي تركها النبيﷺ وعدل عنها، فعندما سأل عن اسم جَبَلَيْنِ: (قَالُوا: مُسْلِحٌ وَمُخْرَى. فَقَالَ: مَنْ سَاكِنُهُمَا؟ قَالُوا: بَنُو النّارِ وَبَنُو حُرَاقٍ. فَانْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ الْخَبِيرَتَيْنِ)[1]. عن طريق الشخصية أيضا عرفنا سلبية تلك الأماكن، حيث انزوى النبيﷺ عنهما، ولم يتوقف عندهما؛ كراهية لاسمهما وأسماء ساكنيها.

ومن هذه النماذج التي سقناها ويوجد من أمثالها نرى مدى وعي الواقدي بأهمية المكان ودوره في بناء الحدث السردي، حيث تعددت الأماكن المنفتحة، وتكرر نزول الشخصيات بها، فأفادت وظائف سردية متعددة منها التعرف على الشخصيات التي نزلت بها، وأن بعضها كان مسرحا لأحداث في الماضي البعيد، وبعضها كان مسرحا لأحداث الغزوة، وبعضها كان إيجابيا حيث صلى فيه النبي ﷺ وبعضها كان سلبيا لأن النبيﷺ عدل عنه وتركه.

المحور الرابع: الشخصيات:

تعد الشخصية من العناصر الأساسية التي يرتكز عليها بناء السرد، فهي من (أهم مكونات العمل الحكائي؛ لأنها تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي)[2]، حتى قال رولان بارت مؤكدا أهميتها: (أن لا سردا واحدا في العالم دون شخصيات)[3]. ويمكن أن نصنف الشخصيات في النص السردي الذي نحن بصدد دراسته إلى صنفين، الصنف الأول: **الشخصية المرجعية، وهي** (التي تحيل إلى بعض الحقب التاريخية، والتي نجد العديد من المصنفات تتناولها بطريقة أقرب أو أبعد من

(١) المغازي، ٥١/١.

(٢) قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ص: ٨٧.

(٣) النقد البنيوي للحكاية، رولان بارت، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ص: ١٢٣.

طريقة تناول السيرة إياها. وهذا النوع من الشخصيات قابل للإدراك، وإعادة التشكيل من خلال المقارنة مع ما تقدمه لنا المصنفات التاريخية المختلفة)[١].

والصنف الثاني: "**الشخصية التخييلية**"، وهي التي أسهم (الراوي في تشكيلها، وإضفاء طابع الحياة عليها بجعلها تعايش الشخصيات المرجعية، أو تعيش إلى جانبها)[٢]، وهذا النوع من الشخصيات له الكثير من الملامح الواقعية التي تجعله قابلا للإدراك والتصور، ومثالها هنا "شخصية إبليس".

وفي دراسة هذه الشخصيات فإنما ننطلق مما تقدمه بنية السيرة السردية، وإذا ما استعنا – كما يقول أحد النقاد– (ببعض المفاهيم مثل **الشخصية المرجعية**، فإننا نستعمل ذلك بكثير من المرونة، ولا نحمِّل المفهوم كل إيحاءاته، ومن التحليل نتدرج في تقديم التحليل الملائم)[٣] للنص السردي التاريخي.

الشخصيات المرجعية:

ومثال هذه الشخصية في الغزوة؛ شخصية رسول الله ﷺ ، وبسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء، ومجدي، ضمضم بن عمرو، وأبو سفيان بن حرب، وشخصية أبي جهل،... وغيرهم . هذه الشخصيات تختلف فيما بينها من درجة الحضور والتواتر وذلك بناء على الدور الذي تطلع به في مجرى الحكي، وبعض هذه الشخصيات ظهر عبر طريقين، **أولهما:** ما تخبر به الشخصيات داخل الحدث السردي، كأن يجيء وصف شخصية ما على لسان إحدى شخصيات الحكي السردي. **والطريق الثاني:** ما يستنتجه القارئ من صفات عن طريق سلوك الشخصيات؛ من بعض أفعالها وأقوالها[٤]، ومن أهم وأبرز

(١) قال الراوي، ص: ٩٢.

(٢) السابق، ص: ٩٢.

(٣) السابق، ص: ٩٣.

(٤) انظر: بنية النص السردي، ص: ٥١.

الشخصيات المرجعية على الإطلاق هي شخصية النبيﷺ فقد تبدت لنا في هذه الغزوة عدة سمات للشخصية السياسية والاجتماعية والقيادية من خلال الأقوال والأفعال.

من سمات شخصيته السياسية التي تبدت في عدة مواقف؛ إرساله اثنين من أصحابه هما "طلحة وسعيد" ليتحسسا أخبار العير،[المغازي:١/١٩-٢٠]، هذا السلوك يزيد (من معرفتنا بفطانة الرسول ﷺ وبعد نظره، وحسن تدبيره للأمور)[١].

كذلك إرساله بعد ذلك "بسبس وعدي" ليتحسسا أخبار قريش، ثم خروجه ﷺ بنفسه مع معاذ بن جبل يتحسس الأخبار بنفسه، فالتقى بسفيان الضمري وعرف منه خبر قريش [المغازي:١/٥٠]. وتظهر في مشاورته السياسية المتعددة، وقد أخذ برأي الحباب بن المنذر في اختيار المنزل ببدر [١/٥٣]، ومشاورة أصحابه وأخذ رأيهم في الحرب، فمن خلال دقة رصد الواقدي في سرده لجميع تحركات النبيﷺ وتخطيطه السياسي والعسكري تبدت لنا مسيرتهﷺ (من المدينة إلى بدر في تشكيلة قتالية تشبه التشكيلات الحربية الحديثة، فأرسل مقدمة وترك مؤخرة، وأفاد من دوريات الاستطلاع، وقام بإغارات لأخذ الأسرى، وجمع المعلومات الكافية قبل بدء القتال، وخاض المعركة بأسلوب جديد يعتمد على التعاون والأثرة، هو أسلوب القتال بالصفوف المتراصة، بينما طبق المشركون أسلوب الكر والفر)[٢]، هذه الملامح السياسية وغيرها لشخصية النبيﷺ ظهرت واضحة من خلال السرد الفني لهذه الغزوة، وقد استنبط المحللون صفات أخرى كثيرة[٣].

---

(١) دراسات في السيرة، ص: ١٤٨.

(٢) قيادة الرسولﷺ السياسية والعسكرية، أحمد راتب عرموش، دار النفائس- بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩١م، ص: ٥١.

(٣) انظر بعض التحليلات السياسية لغزوة بدر، عند د. حسين مؤنس، ص: ١٣٧ وما بعدها.

وتتبدى لنا رحمة رسول اللهﷺ وشفقته على أصحابه في موقفين: عند بيوت السقيا، حيث (نظر إلى أصحابه الذين خرجوا معه فرق لهم قلبه رقة شديدة ودعا ربه)[١]، وتتجلى هذه الرحمة الإنسانية أيضا في تركه نفرا من قريش يشربون (منهم حكيم بن حزام- فأراد المسلمون تجليتهم يعني طردهم- فقال النبي ﷺ: دعوهم! فوردوا الماء فشربوا)[٢]، ولا أريد أن استفيض في ذكر تلك الخصائص التي تبدت للقارئ من أقوال النبيﷺ وأفعاله، وتكفلت كتب السيرة وغيرها بذلك.

ولعل أبرز شخصية ظهرت عبر هذين الطريقين؛ هي **شخصية (أبي جهل)** عمرو بن هشام، فقد رصد السارد بعض أفعاله وأقواله، وأقوال معاصريه فيه منذ أن رأت عاتكة رؤيتها في مكة وحتى مقتله في بدر.

فمن سمات شخصية أبي جهل من خلال أقوال معاصريه: كانت قريش تكنيه: بأبي الحكم، لكن لكثرة سفاهته بمكة كنّاه النبيﷺ: بأبي جهل، فصارت هذه كنيته بعد ذلك. لكن إذا نظرنا في وصفه من أقرانه أولا: من خلال وجوده في مكة؛ يصفه العباس وصفا جسديا مختصرا دالا؛ فقال عنه: (وكان رجلا خفيفا، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر)[٣]. ومن هذا الوصف الدقيق المختصر تتجلى لنا هيئة أبي جهل الجسدية، وكذلك تتضح بعض سمات شخصيته التي اتسم بها أبو جهل، فهذا الوصف بالخفة يفسر لنا كثرة حركته في مكة، ووصف لسانه بالحدة إما لسلاطة لسانه، أو قدرته على الإقناع، لبلاغته وشدة مراقبته لأتباعه، وعناده التي كان يلازمه حتى مقتله، مما مكنه من تحمل قيادة قريش، فهو لم يكتف بإنكار رؤيا عاتكة، بل أراد أن يتابع القضية،

---

(١) السابق، ص: ١٥١.

(٢) المغازي، ٦١/١.

(٣) السابق، ٣١/١.

ويستأصل أصول هذا التفكير في مجتمع مكة حتى لا يتكرر، ويؤثر في تحركات قريش، (فقال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟ زعمت عاتكة أنها رأت في المنام كذا وكذا- الذي رأت- فسنتربص بكم ثلاثا، فإن يك ما قالت حقا فسيكون، وإن مضت الثلاث ولم يكن؛ نكتب عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب)[1].

ومن الصفات التي عرفناها لهذه الشخصية ما جاء على لسان أقرانه وأتباعه، فقد لقبه ثلاثة من أتباعه وهم: (حكيم بن حزام، والحارث بن عامر، وعتبة بن ربيعة) بلقب تكرر منهم: بـــــــ"**ابن الحنظلية**"، وفي هذا شيء من الغمز في شخصيته، كما أتبعوه ثلاثتهم بصفة الشؤم، قال حكيم بن حزام (... فنحر ابن الحنظلية جزرا، فكانت جزور منها بها حياة، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمها، فكان هذا بينا. ثم هممت بالرجوع، **ثم أذكر ابن الحنظلية وشؤمه، فيردني حتى مضيت لوجهي**)[2]. قد تبين لحكيم من هذا المشهد عدم الجدوى من إكمال المسيرة، فقرر الرجوع؛ لكن عناد أبي جهل وإصراره حال بين رجوعه.

ووصفه الحارث بن عامر أيضا فقال: (**مع أن ابن الحنظلية رجل مشئوم على قومه**)[3].

وقال عتبة مخاطبا عنه: (**هذا رجل مشئوم- يعني أبا جهل...**)[4]، وقال عتبة في حوار آخر له مع حكيم بن حزام: (ولا رأي لمن لا يطاع، **هذا شؤم ابن الحنظلية!** يا أبا خالد)[5]، مما يرسم لنا صورة واضحة لأبي جهل من الإصرار والعناد وقوة شخصيته وتأثيره على الناس.

(١) المغازي، ٢٩/١.
(٢) السابق، ٣٤/١.
(٣) السابق، ٣٦/١.
(٤) السابق، ٤١/١.
(٥) السابق، ٥٢/١.

ويضيف أبو سفيان ملمحا آخر لشخصية أبي جهل، عندما أخبروه بمضي قريش نحو بدر بقيادة أبي جهل، (فقال: واقوماه! **هذا عمل عمرو بن هشام، كره أن يرجع لأنه قد ترأس على الناس، وبغى، والبغي منقصة وشؤم**)[١]. أبو سفيان قائد حصيف، كشف لنا عن صفة أخرى في أبي جهل أنه يحب الترأس، فقد أعجبه هذا المنصب، فأراد أن يتم سيادته على قريش من خلال إحراز نصر مبين على أتباع الدين الجديد، لإحساس قديما بالنقص، وظهر هذا جليا في حواره مع العباس: (قال أبو جهل: إنا استبقنا المجد وأنتم فقلتم: فينا السقاية! فقلنا: لا نبالي، تسقون الحاج! ثم قلتم: فينا الحجابة! فقلنا: لا نبالي، تحجبون البيت! ثم قلتم: فينا الندوة! فقلنا: لا نبالي، تلون الطعام وتطعمون الناس، ثم قلتم: فينا الرفادة! فقلنا: لا نبالي، تجمعون عندكم ما ترفدون به الضعيف!...)[٢]. إلى آخر ما دار بينهما، إذ يتجلى في هذا الحوار مدى إحساس أبي جهل بالنقص في أمجاد قبيلته.

كما أنه كان يتصف بصفة الاستعلاء والتكبر، وظهر جليا من حواره مع عبد الله بن مسعود عند مقتله في بدر، الذي دار معه هذا الحوار الأخير: (الحمد لله الذي أخزاك! قال: إنما أخزى الله عبد ابن أم عبد! لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعي الغنم، لمن الدائرة؟ قلت: لله ولرسوله. قال ابن مسعود: فأقتلع بيضته عن قفاه، فقلت: إني قاتلك يا أبا جهل! قال: لست بأول عبد قتل سيده! أما إن أشدّ ما لقيتُه اليوم في نفسي لقتلك إياي، ألَّا يكون وليَ قتلي رجلٌ من الأحلاف، أو من المطيِّبين)[٣]. فهو في اللحظات الأخيرة من حياته لا يريد أن يقتل إلا على يد رجل يراه من أشراف القوم.

---

(١) المغازي، ٤٣/١.

(٢) السابق، ٣٠/١.

(٣) السابق، ٩٠/١.

وما دمنا في قراءة شخصية أبي جهل كما تبدت في هذه الغزوة؛ فإنني أتوقف أمام تحليلين مهمين لشخصيته هذه من خلال أحداث هذه الغزوة، الأول؛ لصاحب موسوعة الغزوات، محمد أحمد باشميل: قال عنه: (ومن الناحية العسكرية، فإنه لا يسع المنصف إلا أن يعترف لهذا الطاغية بالشجاعة الفذة، وأنه على مستوى أولئك القادة الشجعان الذين لا يهابون الموت عندما تلمع بروقه وتهدر رعوده، فقد أثبت أبو جهل يوم بدر أنه مثال ناطق للعناد والمكابرة)[١]، ثم يعود في موقف فيصفه بالحمق: (وهكذا جنت قريش ثمار حماقة أبي جهل ورعونته، حيث هزمت لم تعرف مثلها في تاريخها الطويل)[٢].

والتحليل الثاني، للدكتور حسين مؤنس، فهو لا يؤيد الوصف الأخير لأبي جهل بالحمق بل العكس منه أيضا استنباطا من سلوكيات أبي جهل، فيقول عن إصرار أبي جهل على الخروج ثم مواصلة سير الجيش باتجاه المدينة حتى بعد أن نجت عير قريش: (وتفكير أبي جهل سليم ومنطقي، بل هو [أي الرأي] الوحيد المقبول في تلك الظروف، وحتى مع إفلات العير فقد كان ولابد لقريش أن تظهر قوتها وتدل الناس جميعا على أنها لا تخشى محمدا، أو أمة المدينة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمقام بكامل قوتها في مكان مثل بدر...)[٣]، والرأي الذي يقصده هو مقولة أبي جهل: (لا والله، لا نرجع حتى نرد بدرا- وكان بدر موسما من مواسم الجاهلية يجتمع بها العرب، لها بها سوق- تسمع بنا العرب وبمسيرنا، فنقيم ثلاثا على بدر ننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونشرب الخمر، وتعزف القيان علينا، فلن تزال العرب تهابنا أبدا)[٤].

---

(١) موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، دار الفضيلة، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ١/١٠٣.

(٢) السابق، ١/١٠٤.

(٣) دراسات في السيرة، ص:١٤٥.

(٤) المغازي، ١/٤٣-٤٤.

وقال عن شخصيته أيضا في موضع آخر تعليقا على رأي أبي جهل: (وهنا يبدو لنا أن أبا جهل (أبو الحكم عمرو بن هشام) لم يكن مجرد رجل أحمق عندما أصر- بعد أن نجت العير- على أن يخرج المكيون إلى موضع معروف على طريق التجارة... وقد تعودنا أن ننظر إلى تصرف أبي جهل هذا كان حمقا وغرورا وجاهلية، فها نحن نرى الآن-عندما نتعمق الأمر- أن أبا جهل كان يتصرف في ذلك الموقف تصرفا هو العقل بعينه من وجهة نظر الجاهلية طبعا)[1]، أيا كان الرأي في شخصية أبي جهل فإن الذي يهمنا الآن أن تحديد هذه الشخصية والكشف عن ملامحها كان نتيجة معطيات سرد الواقدي، ورصده ما يتعلق بهذه الشخصية من أقوال وأفعال، حتى تمكن المحللون من الكشف عن ملامح شخصية أبي جهل من خلال مواقفه وأقواله، مما يكشف في الوقت نفسه عن مهارة الواقدي في بناء السرد بناء فنيا دالا.

وهناك بعض الشخصيات الأخرى برزت في هذه الغزوة وكان لها دور في سير أحداث الغزوة؛ منها: بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء، ومجدي الذي كان عند ماء بدر، ودليلا لقريش، وأبو سفيان بن حرب الذي ظهر ذكاؤه ودهاؤه في حماية قوافل قريش من أن تقع في أيدي أصحاب النبيﷺ واكتشافه المبكر قرب النبي ﷺ من ماء بدر، فعلى سبيل المثال: عندما جاء أبو سفيان إلى مناخ عدي وبسبس، (فأخذ أبعارا من بعيريهما ففته، فإذا فيه نوى، فقال: هذه والله علائف يثرب، هذه عيون محمد وأصحابه، ما أرى القوم إلا قريبا! فضرب وجه عيره، فساحل بها، وترك بدرا يسارا، وانطلق سريعا)[2]. فهنا تظهر ثقافة أبي سفيان وخبرته بالبيئة العربية وعلف كل بلد، فقد اكتشف من أبعار الإبل علف أهل يثرب، واستظهر قرب النبيﷺ من هذا الموضع، وكان

(١) دراسات في السيرة، ص:١٤٥.

(٢) المغازي، ٤١/١.

هذا سببا في نجاته من أن يقع في قبضة المسلمين، ثم تظهر خبرته بطرق البوادي فقد غير وجهة القافلة فنجا تماما.

وشخصية "ضمضم بن عمرو" فقد لعب دورا مهما في تحذير قريش واستنفارهم من مكة، يبدو أنه يتسم بسرعة التحرك والخبرة بالطريق والإنذار، والحارث بن عامر الذي اتسم بالكرم والمسالمة، وكذلك حكيم بن حزام. فهذه كلها شخصيات مرجعية لها كان لها أثر مهم في تحريك مجرى الحكي وإن كانت تختفي في بعض أحداث الغزوة مخلية دورها لشخصية أساسية أخرى.

وهناك شخصيات مرجعية من الصحابة برزت من خلال أقوالها وأفعالها منهم: الحباب بن المنذر، علي بن أبي طالب، حمزة بن عبد المطلب، أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، لكن نتوقف قليلا عند شخصية الصحابي الجليل: (سلمة بن سلامة بن وقش) فقد ظهرت واضحة من خلال موقفين بارزين، فهي شخصية مرحة تحب المزاح لا تتحفظ في الكلام، الموقف الأول: مزح مع الأعرابي الذي سأل النبي عما في بطن ناقته، فأجابه سلمة مازحا وقد أفحش له في المزاح؛ (فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته، وأعرض عنه)[1]. ثم بدر منه موقف آخر عند عودة النبيﷺ إلى المدينة، عندما جاء الناس يهنئون رسول الله بالنصر: (فقال سلمة بن سلامة بن وقش: ما الذي تهنئوننا به؟ فو الله ما قتلنا إلا عجائز صلعا. فتبسم النبي ﷺ وقال: يا ابن أخي، أولئك الملأ، لو رأيتهم لهبتهم، ولو أمروك لأطعتهم، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته، وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيهم. فقال سلمة: أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، إنك يا رسول الله لم تزل عني معرضا منذ كنا بالروحاء في بدأتنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ما قلت للأعرابي «وقعت على ناقتك فهي حبلى منك» ، ففحشت وقلت ما لا علم لك به! وأما ما قلت في القوم، فإنك

(١) المغازي، ٤٦/١.

عمدت إلى نعمة من نعم الله تزهدها. فاعتذر إلى النبي ﷺ فقبل منه رسول الله ﷺ معذرته، فكان من علية أصحابه)[١]. فهذه الشخصية دلت عليها أقوالها دلالة واضحة، ولكن رسول الله عاتبه عتابا رقيقا، فأحس بذنبه، فتاب عن مثل هذا المزاح. لكننا نستنبط من كلام النبيﷺ أيضا في تلك الفقرة بعض ملامح شخصية قريش، عندما قال مخاطبا سلمة: (يا ابن أخي، أولئك الملأ، لو رأيتهم لهبتهم، ولو أمروك لأطعتهم، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته، وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيهم) وصف دقيق موجز لهؤلاء القوم، وصف بدني وعقلي وعقدي. كما استنبط د. مؤنس صفات أخرى للقرشيين من كلام الواقدي تبين لنا بعض معالم هذا المجتمع المكي[٢].

الشخصية التخييلية:

ومن الشخصيات التخييلية المهمة التي ظهرت في هذا النص السردي، والتي كان لها دور أساسي في مجرى الحدث، ثم اختفت تاركة دورها لشخصيات أخرى أساسية، هي "شخصية إبليس"، وهي شخصية لا وجود في الظاهر، لكنها موجودة ومتوارية، وبإمكانها الظهور بأشكال مختلفة، وقد كان لهذه الشخصية أبلغ الأثر في سوق قريش إلى مصارعهم، وقد جاء ظهور إبليس في ثلاثة مواضع، وفي كل مرة كان يظهر في صورة "سراقة بن جعشم"، الموضع الأول: كان مع مجيء ضمضم يستنفر قريش لقتال محمد وأتباعه، وقد أحس بعض القرشيين بذلك: (كان عمير بن وهب يقول: ما رأيت أعجب من أمر ضمضم قط، وما صرخ على لسانه إلا شيطان ... وكان حكيم ابن حزام يقول: ما كان الذي جاءنا فاستنفرنا إلى العير إنسان، إن هو إلا شيطان!)[٣]

---

(١) المغازي، ١١٦/١.
(٢) انظر دراسات في السيرة، ص:١٥٥-١٥٦.
(٣) المغازي، ٣١/١.

والموضع الثاني: جاءهم يعدهم بأن قبيلة كنانة لن تغير عليهم إذا خرجوا لقتال محمد وأتباعه، وهو كفيل بهذا الأمر، فتصور لهم في صورة سراقة (فقال: يا معشر قريش. قد عرفتم شرفي ومكاني في قومي، أنا لكم جار أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه. فطابت نفس عتبة،...)[١].

والموطن الثالث: قبيل القتال يحض المشركين على القتال ويعدهم بالنصر، فلما رأى إبليس الملائكة تقاتل مع المسلمين ولى هاربا: (ونكص على عقبيه، وقال: إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون! فتشبث به الحارث بن هشام، وهو يرى أنه سراقة لما سمع من كلامه، فضرب في صدر الحارث فسقط الحارث، وانطلق إبليس لا يرى حتى وقع في البحر)[٢].

لقد كان لهذه المواقف الثلاثة أبلغ الأثر في تحريك الأحداث إلى قمة الصراع، فتحمست قريش للخروج لملاقاة النبيﷺ وأصحابه بعد سماعهم صوت إبليس في صورة سراقة، مما أسهم في تعميق الصراع بين المشركين والمسلمين، وقد نزل القرآن يؤيد هذه الظهور لإبليس والتمثل لهم، وذلك في سورة الأنفال التي تناول أحداث هذه الغزوة، وقد أثبت الواقدي ما يتصل بهذه السورة بالغزوة[٣].

وبذلك أكون قد فرغت من بيان أهم عناصر بنية السرد في غزوة بدر الكبرى من "كتاب المغازي" للواقدي، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) المغازي، ١/٣٨-٣٩.

(٢) السابق، ١/٧١.

(٣) الساب، ١/١٣١-١٣٨.

الخاتمة

استهدف هذا البحث الكشف عن عناصر البنية السردية في غزوة بدر التي أوردها الواقدي في كتابه المغازي، في ضوء ما توصلت إليه السرديات الحديثة بصفة عامة، وقد توصل البحث إلى نتائج من أهمها:

إن النص السردي للواقدي يمتلك مقومات عناصر البنية السردية، وثراء تلك البنية، وتنوع التقنيات المستخدمة فيها.

ففي دراسة الراوي والمروي والمروي له، وجدنا قيام الراوي المؤلف بوظائفه كاملة في بناء النص السردي مثل وظيفة السرد الأساسية، وإدارة أدوات السرد، والوظيفة الوصفية، والتوثيقية وغيرها. كما وجدنا ثنائية "الراوي والمروي له" لا تفارق بناء النص السردي، فهما يتعددان في سرد يعتمد على سلسلة الأسانيد.

وفي دراسة البنية الزمنية أثبت البحث وجود تقنيات متعددة للتحكم في الإطار الزمني، فظهرت تقنيات متعددة مثل: الاسترجاع والاستباق، والتناوب أو التزامن، والمشهد، والحذف، وهي تقنيات أسهمت في بناء الحدث بناء محكما. كذلك وجدنا إشارة دقيقة للزمن النفسي لدي إحدى شخصيات الحكي.

وفي مبحث الفضاء المكاني، جاء بناء الواقدي للمكان عن طريق وصف هذه الأمكنة مباشرة داخل الحدث وتحديد موقعه بالنسبة لما حوله من الفضاء الجغرافي، وما يحدث فيه من وقائع تتصل بالحدث الإطار، أو عن طريق بيان حركة الشخصيات داخل الأحداث.

وفي دراسة الشخصيات في النص السردي للواقدي يوجد صنفان منها، الصنف الأول: **الشخصية المرجعية**، والصنف الثاني: "**الشخصية التخييلية**"، وقد أسهم الواقدي في تشكيلها، وإضفاء طابع الحياة عليها بجعلها تعايش الشخصيات المرجعية. وثمت نتائج أخرى وردت في ثنايا البحث، والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

١. إشكالية الزمن في النص السردي، عبد العالي بو طيب، مجلة فصول، القاهرة، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، صيف ١٩٩٢م.

٢. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير – تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي– دار هجر للطباعة والنشر – الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٣. بنية السرد في القصص الصوفي، ناهضة ستار، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.

٤. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٥. بنية النص السردي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٦. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف– دار الغرب الإسلامي – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

٧. الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، محمد القاضي، دار الغرب الإسلامي،ط١، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

٨. خطاب الحكاية، بحث في المنهج، جيرار جنيت، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلى، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

٩. خطاب السرد من وجهة النظر إلى التبئير، جيرار جنيت وآخرون، ترجمة: ناجي مصطفى، منشورات الحوار، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

١٠. دراسات في السيرة النبوية، حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

١١. الراوي والنص السردي، د عبد الرحيم الكردي، دار النشر للجامعات، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٢. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، بعناية زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى الجديدة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
١٣. الزمان والسرد، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، وفلاح رحيم، دار الكتاب الجديد – طرابلس، ط١، ٢٠٠٦ .
١٤. الزمن في الرواية العربية، مها حسن قصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبع الأولى، ٢٠٠٤م.
١٥. الزمن والرواية، أ.أ.مندلاو، ترجمة بكر عباس، مراجعة إحسان عباس، دار صادر_ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
١٦. السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات، إبراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
١٧. السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
١٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.
١٩. شعرية الخطاب السردي، محمد عزام، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
٢٠. في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٨م.
٢١. القارئ والنص؛ العلامة والدلالة، سيزا قاسم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠١٤م.
٢٢. قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٢٣. القصة القصيرة النظرية والتقنية، إنريكي أندرسون إمبرت، ترجمة علي إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٢٤. قيادة الرسول السياسية والعسكرية، أحمد راتب عرموش، دار النفائس- بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
٢٥. كتاب المغازي للواقدي؛ محمد بن عمر واقد (ت:٢٠٧هـ)، تحقيق: د. مارسدن جونس، مطبعة جامعة أكسفورد، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م. وتقع غزوة بدر مصدر الدراسة في الصفحات: [١٩-١٢٨].
٢٦. كتابة السيرة النبوية عند رفاعة الطهطاوي، دراسة في التشكيل السردي والدلالة، سامي سليمان أحمد، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٢م.
٢٧. المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بربري، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٨. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.
٢٩. مقدمة لدراسة المروي عليه، جيرالد برنس، ترجمة: على عفيفي، مراجعة؛ د. جابر عصفور، مجلة فصول، مجلد ١٢، العدد الثاني، صيف١٩٩٢م.
٣٠. موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، دار الفضيلة، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
٣١. النقد البنيوي للحكاية، رولان بارت، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
٣٢. الواقدي وكتابه المغازي، الدكتور عبد العزيز سليمان، الجامعة الإسلامية- السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

* * *